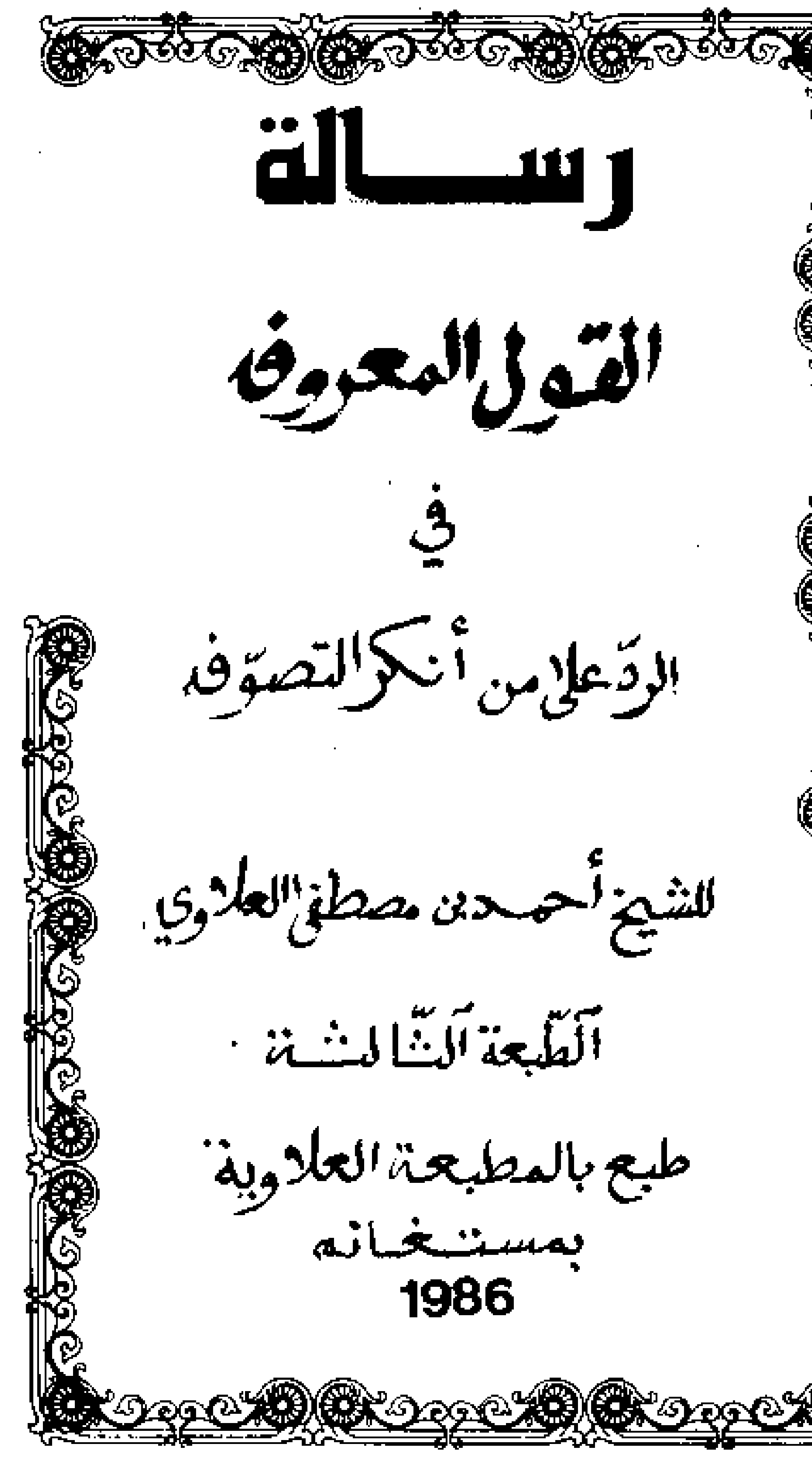


# رســـالة

## القول المعروف

في

## الرد على من أنكر التصوف

للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي

الطبعة الثالثة

طبع بالمطبعة العلاوية
بمستغانم
1986

## رســـالة القول المعروف

نستأنف بعون الله الطبعة الجديدة لهاته الرسالة القيمة، التي كانت ولم يزل كوكبا دريا يهتدى به في ظلمات البر والبحر، طلع نجم هذه الرسالة والناس في مسيس الحاجة إلى كلمة شافية، وعبارة كافية في تحقيق مذهب التصوف، وتبيين مأخذه من الكتاب والسنة فجاءت هذه الرسالة جامعة لرغائب طلابها، مانعة من مصائب اعدائها، فذاع صيتها وانتشرت فوائدها، فكانت يومئذ خير سلاح لكل ذاكر وشاكر، فأفحمت الحسود، وأقنعت الودود، ولم يزل فضلها يتزايد اعتبارا وذكرها يتعاهد انتشارا، إلى أن نفذت الطبعة الأولى منها، وأصبحت المهتدون تتساءل عنها كما يتساءل العليل عن ترياقه والخليل عن رفاقه، وكل منهم يستنهضوننا لتجديد طبعها، ولتعميم نفعها، لأنه الكتاب الوحيد الذي أبان للناس ما كانوا في حاجة إليه بعبارة صريحة، ونصوص صحيحة، لا ينكرها إلا مكابر، ولا يرفضها إلا معاصر، أولئك الذين **ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.** نحرر هذه الكلمة عن: «رسالة القول المعروف، في الرد على من أنكر التصوف» تنويها بجهاد صاحبها مولانا الأستاذ الشيخ سيدي «أحمد بن مصطفى العلاوي» قدس الله سره، وتقديرا لأعماله الجليلة التي كان يسديها من فرصة إلى أخرى، إلى تأييد دينه وإرشاد أبناء ملته، حتى كان رضي الله عنه ركنا شديدا يلجأ إليه في مهمات الأمور، وبالفعل قد فاق أهل زمانه بفضل أفكاره، إلى أن اجتباه الله إليه، وغربت شمسه عن هذا العالم، وأشرقت على العالم الآخر. **والله يبدئ ويعيد، وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد.**

# لبســـم اللـــه الرحمـــن الرحيـــم

الحمد لله الذي عفانا مما ابتلى به كثيرا من خلقه والصلاة والسلام على النبي وآله.

أما بعد، فمن كاتبه كثير المساوي، عبد ربه أحمد بن مصطفى العلاوي، منَّ الله عليه بالتوفيق، وألهمه والمؤمنين إلى أقوم الطريق.

إلى الفقيه المحكي، الشيخ سيدي عثمان بن المكي المدرس بمدينة تونس بجامعها الأعظم، زاده الله عمرانا على عمران، وطهره من كل متمرد شيطان. عليكم سلام الله ما كنتم محترمين لأهل نسبة الله **ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**.

هذا وإني كنت عثرت على رسالة نمقتموها بقلمكم تسمى: «المرآة لإظهار الضلالات» فتناولتها بيد الإعتبار، لنتصفحها بفؤاد الإستبصار، متشكرا لله على بقاء الأقوياء في الدين، الذين لا تأخذهم في الله لومة اللائمين، غير إني كنت مستثقلا اسم الرسالة حيث كانت معنونة بعنوان **الضلالات** ولم ندر أن مسماها أثقل، وبمجرد ماطلعت منها على الأقل، عرضني فيها ما ألزمني الفشل، وأورثني الكلل، فتأسفت بقدر ما استبشرت، وبما أصابني كدت أن أقول لا يحل النظر للمرآة مطلقا، سواء كانت لإظهار الضلالات، أو لإظهار الصور، لما اشتملت عليه مرآتكم من العض وتمزيق العرض، فهي تكاد تميز من الغيظ ترمي بشرر كالقصر نحو الذاكرين، وتحطم بالجهر الجم المؤمنين، وكنت كلما نزهت

الكاتب عن مكتوبه، إلا ولسان الواقع يقول إن القلم لا يجيء إلا بصورة صاحبه، والإناء لا ينضح إلا بما فيه

وبمناسبة ما اشتملت عليه مرآتكم من الزور، وارتكبتموه فيها من الفجور، فطعنتم في أعراض أهل نسبة الله بكل لسان، وذكرتموهم بكل زور وبهتان، حركتني الغيرة الإلهية والحمية الإسلامية على أن نكاتبكم احتراما للمنتسبين حيث شوهتموهم، وانتصارا للذاكرين حيث خذلتموهم، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: **من أذل عنده مؤمن فلم ينصره، وهو قادر على أن ينصره، أذله الله على رؤوس الاشهاد يوم القيامة.**

وقال أيضا: **من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة.** رواه أبو أمامة في الصحيح. وعن أبي الدرداء: **من رد عن عرض أخيه كان له حجاب من النار.** وهذا في الرد عن عرض أي مؤمن كان، وأما الرد عن أعراض الذاكرين فقد يتولاه الله بنفسه. قال أصدق القائلين: **وهو يتولى الصالحين.** فمن بارزهم؛ فقد بارز الله، والمنتصر لهم منتصر لله، ولا زال أهل الفضل في دفاع عن نسبة الله في كل زمان، لأن القوم رضوان الله عليهم لن يزالوا بين منتقد ومعتقد، **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.** لابد من ودود يمدح، وحسود يقدح، ولكن كل من القدح والإنتقاد يتصوران في أفراد ممن نقص في الدين أو زاد، بحيث تجاهر بما يتضمن الفساد، فيما يظهر للمنتقد، وقد يكون على خلاف ما اعتقد.



أما الإنتقاد على أهل نسبة الله عموما، والتجاهر برد مذهبهم، كما فعلته أنت أيها الشيخ حيث استدللت عليه بأنه بطالة وجهالة وضلالة، فقد تظاهرت بشيء لم يتظاهر به غيرك من علماء الدين، إلا إذا كان من إحدى الفرق المخالفة ممن يجحدون وجود الخصوصية حيث لم توجد فيهم. وأما أهل السنة فلا ينتقدون، وإن وقع منهم إلا على افراد ممن لم تتضح خصوصيتهم، وأما بنظرهم لمذهب التصوف، فكل يحترمه ويجل رتبته، وأقوالهم في ذلك أعدل شاهد، التي غصت بها الدفاتر.

وبالجملة فإن قلوب أهل السنة جبلت على حب التصوف وأهله، وتجد كل من سعى في تنقيص مذهبهم، يسقط من عيون الخصوص والعموم.

وليس ذلك إلا دلالة على سقوطه من عين الله والعياذ بالله. ولهذا، يقال كل من تعرض للذاكرين على جهة البغي والعناد، ابتلاه الله بالمقت بين العباد، وها أنا أستطرد لك ما ربما يردعك إن شاء الله،نصيحة في ذات الله؛ **ويحذركم الله نفسه.** قال في الحديث القدسي: **من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب.**

قلت: ولا شك أن من تعرض لمحاربة الله قلّت سلامته. وقال عليه الصلاة والسلام: **غابتان مسمومتان لا يسلم من طعنهما: أهل بيتي، وأولياء أمتي.** وأقوال العلماء في ذلك أكثر من أن تحصر، منها ما ذكره أبو المواهب التونسي عن شيخه أبي عثمان رضي الله عنهما، أنه كان يقول في الدرس على رؤوس الأشهاد: لعنة الله على من أنكر على هاته الطائفة ومن كان يؤمن بالله

واليوم الآخر فليقل لعنة الله عليه وكان اللقاني رضي الله عنه يقول: يخشى على من تكلم فيهم، يعني الصوفية سوء الخاتمة وجزاؤه الأدب الشديد، والسجن المديد، **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين.** وهكذا تجد كل إمام متورع، يخشى القول في عوام المسلمين، فضلا عن المنتسبين.

وحتى لو قلنا لو لم يصح عندك من أحوال الصوفية إلا كونهم مسلمين، لوجب عليك احترامهم، وحرمت عليك أعراضهم فتكف حينئذ عن التتبع لعوراتهم، حذرا مما حذرك منه الشارع.

روى ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : **من أشد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق، شانه الله بها في النار يوم القيامة.** وهذا فيمن أشد على عورة مسلم واحد.

وأي حكم يلحق من تتبع عورات عامة المسلمين وخاصتهم، ليشينهم بها فيما بينهم، أو عند الأجانب إن أمكنهم الإطلاع على ذلك كما فعلت أنت أيها الشيخ، فتتبعت النقير والقطمير، وتوسعت في النكير، تحدث نفسك أنك السني الوحيد في الوجود، والكل دونك إما مبتدع جهول، أو مخالف مخذول، فهذا حكمك في أبناء ملتك.

ولم ندر ما هو حكم الله فيك ولو تتبعت عورات نفسك لوجدت فيها ما يغنيك عن تتبع عورات الغير، ولكن مثلك يجري عليه قوله ﷺ حيث قال: **يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه.**



أما أنت فنسيت جذوعا كثيرة سيأتيك نبؤها بعد حين، ولعله كلما أطلعناكم على جذع منها أزلتموه مهما أمكنكم.

وما إزالته إلا مجرد اعتراف، ولكن الإعتراف نتيجة الإنصاف، فإن كنت منصفا فكتابي هذا حجة لك وإلا فهو حجة عليك

وعلى كل حال فمهما تناولته فكن ذا بصر حديد، وعقل سديد، وفؤاد من التعصب بعيد، فإني ما كاتبتك به إلا وأنا أرجو الله أن ينقذك مما أنت فيه بسببه، أو ينقذ من هو على شاكلتكم، أو من سرت فيه إشارتكم، بسبب نظرة في مرآتكم المكسوفة أو مجالسكم المأسوفة وها أنا أذكر لكم من الجذوع المنسية في أعينكم، لو لا أن أظهرها الله بسبب مرآتكم.

من ذلك أنكم قلتم في صدر ما جمعتموه من الطعن في أعراض المسلمين: **الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.**

وإني لم أدر هل أردتم بذكركم هاته الآية الكريمة مجرد التبرك بها، أم أشرتم لما هداكم الله إليه من الطعن في أعراض الذاكرين، ونحوهم فاعتقدتم أن ذلك من الهداية فان كان بالمعنى الأول فحسن، وإن كان بالمعنى الثاني فإنه لم يظهر وجه الهداية بالتعرض لأهل الله بالغيبة ونحوها، إلا إذا كانت الهداية من قبيل قوله عز وجل: **فاهدوهم إلى صراط الجحيم.** وما هو من هذا القبيل. ثم أنكم سميتم ما جمعتموه «بالمرآة لإظهار الضلالات» قلت: إنكم أصبتم في الإسم، وأصبتم في مسماه.

أما إصابتكم في الإسم، فإنها أظهرت مرآتكم ما كان كامنا

فيكم، ولولاها من يعلم بضلالتكم، فكتاب المرء عنوان عقله وما فيه يظهر على فيه وبعد هذا بقليل، استطردتم جملة من النصوص، قلتم في ترجمتها: المقدمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم ذكرتم ما جعلتموه ذريعة لتتوصلوا به إلى الطعن في أعراض المؤمنين بدعوى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ولكن ذلك لا يغني عنكم من الله شيئا، إنما الغيبة غيبة على كل حال، وحتى لو قلنا أنكم لم تقصدوا إلا إصلاحا، فيكون ذلك دليلا على عدم تفريقكم بين المعروف والمنكر، وهو عذر لكنه غير مقبول لمن تصدى للأمر والنهي، وعلى كلا التقديرين فالتهمة لا تنفك عنكم.

**فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ☆ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم**

فإن كنت على غير بصيرة من التفريق بين المعروف والمنكر، فكيف تقوم تأمر بهذا وتنكر عن هذا، وكان من حقك أن تتصور معنى الشيء، ثم تحكم عليه لأن الحكم فرع التصور، وإن حكمت فلا تحكم عليه إلا بحكم الله ولا تأمر فيه إلا بأمر الله، ولا تنهى عنه إلا بنهي الله، وتتورع أن تقول في دين الله برأيك أو تنكر على شيء بطبعك، قال تعالى: **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون.**

وأين أنت من هذا؟ حتى قمت تحرم هذا، وتنكر هذا، وتضلل فرقة، وتبدع أخرى، بدون ما تخشى الله في خلقه، وتراقب محمدا في أمته، وترى أنك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، بدون ما



ترى أفيك أهلية لذلك أم لا ؟

قال عليه الصلاة والسلام: **لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، الا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه.**

أما كونه رفيقا فيما يأمر به، فإنه يريد والله أعلم أن لا يأمر إلا برفق، ولا ينهى إلا بمثله وهذا خلاف الأسلوب الذي ارتكبته أنت أيها الشيخ في مرآتك. كان من حقك أن لا تقدم على شيء حتى تعلم حكم الله فيه، وتدخل البيت من بابه.

ألم تعلم أن شابا جاء للنبي ﷺ فقال برفع صوته: أتأذن لي بالزنا يا رسول الله ؟ فصاح الناس به. فقال رسول الله: **اقروه اقروه، وأمره أن يدنو منه، ثم قال له برفق: أتحب أن يفعل ذلك بأهلك** وأخذ يذكر له في قرابته من نسائه كأمه وأخته وزوجته، وهو يقول لا أحب. فقال عليه السلام: **فكذلك الناس لا يحبون أن يفعل ذلك بأهلهم**، ثم وضع يده الكريمة على صدره. فقال: **اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه**، فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض إليه من الزنا.

ومثل هذا من الوقائع ما جاء في سيرته، وفي سيرة أتباعه بكثرة ومن ذلك حكاية البدوي المشهورة، الذي بال في طرف المسجد، فقام الصحابة ليستفزوه بعنف، فوضع عليه ﷺ رداءه، وأمره أن لا يستعجل بعد ما كف أيادي الصحابة عنه، فلما قضى البدوي حاجته، قال اللهم ارحمني وارحم محمدا، ولا ترحم أحدا.

فقال رسول الله ﷺ : **حصرت واسعة يا أعرابي**. وأين مثلك ومثلي من هاته الأخلاق ؟

فالرفق مهما دخل شيئا إلا وزانه، والعنف مهما دخل شيئا إلا وشانه، وهذا بعض ما يتعلق بالرفق في الأمر والنهي.

وأما كونه حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه، فهو وصف مهما وجد في الآمر يثير نفعا في المأمور غالبا، لأنه يستلزم الحرص على هداية المأمور، وإليه الإشارة في التنزيل **حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**. ومن الدلالة على الحلم مهما وجد في صاحبه أن لا ينتصر لنفسه إن رد قوله أو لحقه من الأذى بسبب الأمر والنهي، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام لما كسرت رباعيته قال: **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**. وحتى لو قلنا أنك لم تبلغ إلى أقل درجة من الحلم، فحقك أن تتحلم، لقوله عليه الصلاة والسلام: **إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم**. ألم يبلغك أن عيسى عليه السلام فيما أخبر عنه التنزيل أنه قال في حق قومه من بعده: **إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**. فانظر ما أطيبه من حديث، وما ألطفه من فؤاد المحدث به، مع ما ارتكبه قومه من بعده من الشرك، فإنه لم يقل ما قلته أنت في أمة أحمد من أنهم شر الخلق، والخليقة حسبما يأتي في كلامك، لأجل ذنب ارتكبوه في زعمك. وهو احترامهم لصلحائهم، وكل ذلك من قسوة قلبك وقلة شفقتك على المؤمنين.

روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: **من لم



يرحم الناس لم يرحمه الله**. وهذا بعض ما يخص الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من كونه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه.

وأما كونه فقيها فيما يأمر به، فقيها فيما ينهى عنه، فهو أساس المسألة ودعامة وسطها، فعليه تدور دائرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن عدم الفقه في دين الله في الغالب يحمل صاحبه على العكس في المسألة، فلربما يأمر بالمنكر، أو ينهى عن معروف، وهو من سوء التصرف الفظيع في دين الله بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسبما اشتملت عليه مرآتك أيها الشيخ، فقد أنكرتم من المعروف أعلاما، فلا فتنة أعظم وأضر من فتنتكم على المسلمين، فعلى الأقل إذا لم يتضرر القارىء بالنظر في مرآتكم، يقع في التبـــاس من دينه، وشك من أمره، حيث يجد ما كان في ظنـــه قربة يدين الله به معصية يستحق العقاب من أجلـــه.

وأي رزية أعظم من هاته الرزية للمتدين؟ **إنا لله وإنا إليه راجعون**. أو ليس قد تقرر لدى الفكر العام بالتواتر، ان مجلسا من مجالس الذكر، يمحو عدة مجالس من مجالس السوء، وهذا مما أطبقت عليه عقائد الأمة، خصوصا وعموما، فقمت أنت أيها الشيخ تبرهن في مرآتكم على أن المجالس المعدة للذكر، على اختلافها بين طبقات الذاكرين بدعة ضالة على خلاف ما كان عليه السلف، بدون ما تذكر وجه مجالس الذكر المندوب لها شرعا، ومن المعلوم أن من يعتني بكلامك يقع في حيرة، وكل

ذلك أصابك ولطه من عدم الفقه في دين الله!

ولهذا اشترط عليه الصلاة والسلام في حق الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يكون فقيها فيما يأمر به، فقيها فيما ينهى عنه، لئلا يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف كما تقدم.

ثم أقول: ينبغي لمن تصدر للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أن يتصور أولاً معنى المعروف، ومعنى المنكر، ويحققهما بالحد الواضح، والشرع الصريح، لئلا يقع في مهواة الإنعكاس، ومن أجل ذلك تورع أكابر العلماء من القول في دين الله بغير نص صريح، أو ما هو كالصريح.

نعم يجتهد المجتهد لنفسه فيما لا نص فيه، بدون ما يلزم غيره أن يذهب مذهبه، إنما يحكي رأيه فيه لا غير، ولهذا تعددت الطرائق في الفروع، والحمد لله على اتحادها في الأصول، وكل ذلك من اليسر في دين الله. كما قال عليه الصلاة والسلام: **خير الدين أيسره، وخير العبادة الفقه.** ومن لا فقه له يمتنع عليه القول في دين الله.

ذكر ابن عبد البر عن عطاء رضي الله عنهما أنه قال: لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالما باختلاف الناس، وإن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق، من الذي هو في يديه

ثم ان جميع ما ذكرناه من التحري، هو فيما اشتبه أمره، وأما ما علم تحريمه أو إيجابه من الدين بالضرورة، فهو فقه فيتعين الأمر بالمعروف فيه، والنهي عن المنكر على كل مسلم عالم بجلية



ذلك الشيء أو تحريمه، وإن لم ينته ويأتمر في نفسه، إنما المحترز منه ما مشيت عليه أنت أيها الشيخ، فقمت تحرم وتحلل بظنك وحسدك، وتقول بطبيعك وشهواتك، فظننت أن المعروف ما عرفته أنت، والمنكر ما أنكرته أنت، وهذا بعيد منك، ومن أمثالك إنما أمره موكول لله ورسوله والراسخين في العلم، والذي هو حق عليك أن تنكره، هو ما علمت إنكاره من الدين بالضرورة، وتأمر بما تحققت معروفيته من الدين بالضرورة، وترتكب العزائم فيما بين ذلك لنفسك، وتفوض الأمر لله فيما وراء ذلك، وتحسن الظن فيما تفرع عن اجتهاد المجتهدين من أئمة الدين من الصوفية وغيرهم.

أو ليس في علمك قد يوجد في المشتبه ما ثبتت حرمته في مذهب، وإباحته في مذهب آخر، أو ندبه في مذهب، وكراهيته في الآخر؟

وهذا ونحوه لا يحتاج لكثرة بيان، وأي شيء يراه المصنف؟

فهل يتسنى له أن يلزم أحد المجتهدين بالدخول تحت قول الاخر؟ إلا إذا كان ممن بلغ به التعصب الأعمى منتهاه، مثل ما بلغ بك، فقمت إلى مذهب أعظم سواد على وجه البسيطة تلزمه بالدخول تحت رأيك الكاسد، ظنا منك أنه وضعت دعائمه على غير أساس متين، لا والله ما أنصفت المتصوفة في ذلك أيها الشيخ.

والذي حقه أن يقال لك ولأمثالك إن أقل صوفي يوجد إلا وهو أشح على دينه منك، وأما ما استدللتم به من قوله تعالى: **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر.**

فأقول: إنه لا نزاع فيما أستجلبتموه من النصوص، على كون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مما يتعين القيام به على كل احد يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر. إنما النزاع في المنكر، حيث حملتموه على غير محمله حسبما يقتضيه صنيعكم، من إدخالكم حلق الذكر، وما عليه المتصوفة تحت حيز المنكر. الذي يجب تغييره، وفي ظني أن المنكر الذي أولى بالتغيير هو ما اعتقدتموه في مرآتكم.

ثم أقول: إن الخطاب في قوله تعالى: **كنتم خير أمة** إما أن يكون راجعا لعامة المؤمنين، وإما أن يكون راجعا لخاصتهم، فإذا كان عائدا على عامتهم، فيكون فيه دلالة على تخصيصهم بين الأمم بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإنها وظيفة الصديقين، والأنبياء والمرسلين، ويكون أمرهم ونهيهم عائدين على من سواهم من الأمم، ويكون المنكر عبارة عن الشرك، وما في معناه. والمعروف عبارة عن التوحيد، وما والاه. وإذا كان الخطاب عائدا على خاصتهم، فيكون الأمر والنهي فيما بينهم، ويكون المنكر عبارة عن كل خلق مذموم، وعكسه المعروف.

ثم إذا حملنا الضمير على المعنى الآخر، لا يتعين صرفه على الوجه المطابق لما في نفس الأمر، إلا لهداة الخلق الداعين للحق بالحق، الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام: **لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن، فبهم تسقون، وبهم ترزقون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه الآخر.**

وهكذا ما من نبي إلا وعلى قلبه طبقة من أمة محمد ﷺ



وهاته الكتائب التي لا يخلو منها عصر، هي التي يتعلق بها الخطاب، على الوجه الأحق، لأنهم أهلوا لذلك وفطروا في الأزل على ما هنالك فصفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجودة فيهم بالطبع، وقد توجد في غيرهم إلا أنها عرض تغيرها العوارض.

وفي ظني أن الطبقة المشار إليها، لا توجد غالبا إلا في حيز الذاكرين المستهترين بذكر الله حسبما جاء في الحديث الآتي ذكره، ولا يوجد المستهتر بذكر الله أو المولع بذكر الله على ما في بعض الروايات، أو المستهتر بذكر الله على ما في الأخرى، إلا في حيز المتصوفة الذين قلت أنت بتبديعهم. ولما من سواهم فلا يبلغ في ذكر الله مبلغهم كائنا من كان، إلا إذا كان محبا لهم أو من أسلافهم، أو من أهل سلسلتهم.

وهذا بقطع النظر عن القرون الثلاثة المشهود لهم، ولكن هذا يتضح عند من يعرف معنى التصوف، ومن هم المتصوفة.

وأما من يعتقد أنهم عبارة عن اجتماع غوغاء، من أراذل الناس، فلا يهتدي لما ذكرناه، لأنه يقيس ما عرفه منهم على ما لا يعرفه، بجامع وهو الإسم، فيظن أن مسماه واحد، فشتان بين ما عرفته، وبين ما لم تعرفه، فوالله يا أخي لو أطلعك الله على معنى التصوف، وما هي مبادئه وغايته لاكتفيت من الله بالتطفل على أهله!

وأما ما استدللتم به من قوله تعالى: **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.**

فأقول: إنكم أخذتم الشق الآخر من الآية، واهملتم ما اشتمل عليه الشق الأول منها، مع أنه عمدة فيما بعده، وهو ما يتعين من ولاية المؤمنين لبعضهم بعضا، وما يترتب على ذلك من حرمة أموالهم، وأعراضهم ودمائهم فيما بينهم، وقبل هذا ينبغي أن نعرف معنى الإيمان، الذي يوجب لنا الأخوة والولاية والتعاضد فيما بيننا.

فأقول: إنه سهل، والله أعلم، حسبما قرره لنا الشارع، وذلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فمن تحققت فيه هذه الخصلة وجبت موالاته، وحرمت عداوته، وهي موجودة والله أعلم في سائر أفراد الأمة، وإن مع تعدد مذاهبهم، واختلاف طرائقهم في الفرعيات، فذلك غير مضر مهما سلمت الأصول، وعلى هذا ينبغي لمن أهله الله للكلام، أن لا يبسط لسانه إلا بما يقضي بالمحافظة على الروابط الإسلامية والأخوة الدينية ولا يجرح عقائد أهل القبلة، ولا يقبح معتقداتهم، ولا يحكم ببطالتهم لئلا يكون ذلك ذريعة للإنشقاق، والتنفير فيما بين المسلمين، وعدم الوفاق.

ألم يبلغك يا شيخ ما وصلت إليه الأمة فيما سبق من الإرتباك؟ وكل ذلك سببه غلو المتعصبين من اتباع المذاهب، فكل يشوه غيرهويحكم عليه بما اعتقده، والحالة أن الجميع مؤمن، إلا أنه بلغ التعصب المذهبي بهم، إلى انحلال رابطة الأخوة الدينية المتحدة في الشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان، وقراءة القرآن، وغير ذلك مما هو من أهم الخصال



الإسلامية، والإشتغال بما سلف لا طائل تحته من الخير. فبالله عليك ياشيخ، كيف قمت تسعى في تحريك الفتن الخامدة فعمدت إلى هدم أعظم ركن في الإسلام، وأعظم قاعدة اعتمدت عليها المسلمون، وتربت قلوبهم عليها، أي على محبة أهل نسبة الله فهم الآن يعتبرونهم، ويعظمونهم بالجبلية محسنين الظن في التصوف وأهله فقلت أنت: إن مذهب التصوف بطالة وجهالة وضلالة إلى آخر ما حملت عليه، فكسرت والله قلوبا يتعذر عليك جبرها إلا بتوبة نصوحة واعتذار لأربابها، وكان من حقك أن لا تقدم على تنقيص المذهب، حتى تعلم من هو واضعه، وما هي مبادئه العشرة، الذي اشترطتم معرفتها في كل فن، ثم قل ما بدا لـــك أن تقول.

وظني فيكم أن بضاعتكم في العلم قليلة، أو قريحتكم في الفهم كليلة، أو هما معا. وإن كان كذلك فمن المعلوم، لا تجد من يرشدكم لفن التصوف فيما بين ايديكم من المتون، مثل الزنجاني، وابن آجروم، وعلى فرض ما ذكرناه من اقتصاركم على ما اختصر من المتون، لايفوتكم «المرشد المعين» في العبادة و «الجواهر المكنون» في البلاغة، وهما ممن اعتنى بفن التصوف؛ الأول ذكره بالإستقلال، والثاني نوه به على سبيل الإستطراد، تنبيها منه للطلبة جزاه الله خيرا؛ ولست أدري هل رفضتهما برفضك لمذهب التصوف من أصله، أم جعلتهما في حيز الإهمال.

وعلى كل حال، فإنك غاليت في الجحود، وإلا فشهرة مذهب أهل التصوف تغني عن إقامة الشهود، وعلى كل حال، فإني

اوصيك إن طالت بك الحياة، وأردت أن تجمع شيئا من المسائل العلمية أو من النصائح الدينية فلا تات إلا بداعي الإتحاد بين أفراد الأمة المحمدية أي بما يؤكد بينهم الروابط الدينية والأخوة الإسلامية بقطع النظر عما تشعب من الفروع، **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله.**

فبالله عليك الا ما أمعنت النظر فيمن نزلت، ولأي سبب أنزلت، فيا ما أحسنه من تأليف، ولكن أين الثرى من الثريا؟ ولعلك تقول نزلت في أهل الكتاب كما هو صريح الآية.

فأقول، وعلى الأقل كان من حقك أن تنزل الصوفية منزلة أهل الكتاب، لا تصدقهم ولا تكذبهم وهذا أقل درجات الإنصاف، ولكن أين المنصفون؟

وأما استدلالكم بما قال الغزالي رضي الله عنه، فالإستدلال بكلامه غير لائق، على ما تقتضيه قواعدكم، لأنه صوفي، وأنت لاتقول بمذهب التصوف. وأما استدلالكم بما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما: **إن التارك للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ليس مؤمنا بالقرآن...** وهل تظن أنه عليه الصلاة والسلام يريد بنفي الايمان مطلقا؟ كلا. وإلا لهلكت الأمة؛ وإنما يريد به نفي الإيمان الكامل التي هي درجات الصديقية كما يشهد لذلك عدة أحاديث منها: **لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.** وأما الإيمان العمومي فقد تقدم ذكره من أنه سهولة محض،



وحديث السوداء المشهور مما يزيده سهولة. ثبت أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، تعين عليه عتق رقبة مؤمنة فجاء بجارية سوداء إلى النبي ليمتحن إيمانها، فقال لها عليه الصلاة والسلام: **أين ربك، فأشارت إلى السماء، فقال مؤمنة.** فأعتقها. والذي يشهد لهذا، من أنه ليس المراد به نفي الإيمان العام، هو ما نقلته أنت عن ابن عرفة من أنه فرض كفاية ولكنك بنيت بما قدمته من الأحاديث قصرا، ثم هدمت بما ذكرته عن ابن عرفة مصرا. لأن القائل يقول لك، فما هو وجه استطرادك هذه الأحاديث التي تقيد الإطلاق، إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية وإن كان كذلك فما وجه تعيينه عليك دون من سواك؟

وأنا أقول لكم: ليس الشأن في جمع النصوص، إن رمت الكتابة إنما الشأن أن تضع النصوص مواضعها، وهي من أنواع الحكمة التي قال فيها تعالى: **ومن يوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.**

وأما استدلالكم بقوله عليه الصلاة والسلام: **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا...** يجري فيه من جهة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ما تقدم، وأما ما يتعلق بما ذكرته من الحديث، فأقول: يدخل في قوله من لم يرحم صغيرنا عوام الأمة لأنهم صغار، وإن كانوا كبارا في السن. ويدخل في الكبار خواصها، وإن كانوا صغارا في السن، لأن الإنسان يعتبر بنفسه لا ببدنه، وعلى هذا يكون لكم مساس من الحديث، لأنكم ما ترحمتم

بالصغار الذين هم عوام المسلمين، بأن خاطبتموهم باللين والملاطفة، وترحمتم عليهم ترحم الأب الكبير على الإبن الصغير، بل خاطبتموهم بعنف، وحملتم عليهم بكل ما عندكم، وما وقرتم الكبار أيضا الذين هم ينابيع الحكمة، ودعائم دين هذه الأمة، وقلتم ببطالتهم وجهالتهم، واتخذتموهم أعداء. بما نقلتموه من حديث إبن عباس عن رسول الله ﷺ : **تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي...** فطبقته عليهم فيالله العجب! كيف تسنى لك أن تطابق هذه النقول، على من اجتمع على ذكر الله وما في معناه!!

وبالجملة إن جميع ما استطردتموه من الدلائل على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا نزاع فيه، إنما النزاع في معنى المنكر ما هو؟ حتى لاننكر حقا، أو ما هو بالحق أشبه بالباطل، ولئن تخطيء في تصويبات ما عليه إخوانك في الدين، خير لك من أن تصيب في تخطيئاتهم، ألم تعلم أن أعراض المسلمين معصومة كأموالهم ودمائهم، بمجرد النطق بالشهادتين؟ ثم إنكم استطردتم قول ابن ابي زيد القيرواني رضي الله عنه في رسالته وهو قوله: ومن فرائض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على من بسطت يده في الأرض، وعلى كل من تصل يده إلى ذلك فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه. فأقول هذا معنى حديث، ولعله لم يصلكم ونصه: **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.** وهذا من حسن أسلوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.



وأما نقلكم عن ابن عرفة من أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض كفاية، ليس فيه شيء مما يزيد في عزيمتك لجمع هذه الرسالة، فياليتك اقتصرت على ما ذكرته من الأحاديث السالفة من جميع ما تقدم.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين، على كل من تميز لديه المنكر من المعروف، والحلال بين والحرام بين، وعند الشبهة يتمين الوقوف، غير أن كيفية التغير تختلف باختلاف الأشخاص، والأماكن، قدرة وعجزا. فمن كانت له قدرة على تغيير المنكر كولاة الأمور، فهو واجب عليه بالفعل، ولا مندوحة له في تركه مع القدرة كما تقدم، ومن لم يصل لهذه الرتبة من علماء المسلمين ففرضه أن يغيره بلسانه، ومن لم يستطع لعارض فليغيره بقلبه، وذلك اضعف الإيمان كما تقدم في الحديث.

وبعد ذلك استطردتم جملة ركيكة الألفاظ قلتم فيها: فمن الواجب أيضا اتباع الحق، والسنة المحمدية، واقتفاء آثار السلف الصالح رضي الله عنهم ؛ فإن من عادتهم أن من اتبع السنة احبوه، واعتقدوه وعظموه، ومن كان على غير ذلك تركوه، وأهملوه ومقتوه، حتى كان من يريد الرفعة عندهم من الذين لا خير فيهم، يظهر لهم الاتباع حتى يعتقدوه على ذلك.

أما قولكم فمن الواجب أيضا اتباع الحق، فأقول: إنه من واجب الواجبات، لكن عند من عرف الحق، واتضح لديه، أما من كان في لبس يتخبطه الشيطان من المس، فمن أين له أن يعرف الحق؟ وحتى إذا عرفه يعرفه بالرجال، وهذا لا يتمكن له اتباع الحق، إلا

إذا فتح الله بصيرته وطهر سريرته من سوء الظن بالصالحين.

قال الإمام علي كرم الله وجهه: **لاتكن ممن يعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله.**

ثم أنكم ذكرتم: من أوصاف السلف الصالح أنهم يحبون من يتبع السنة وأي مؤمن يؤمن بالله ورسوله لا يحب أهل السنة؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **ألآ لا إيمان لمن لا محبة له.**

ألم تعلم أن الصوفية الذين قلت ببطالتهم، وجهالتهم وضلالتهم جعلوا المحبة أساسا لطريقتهم، ولكن لعلك تعني بأهل السنة من كان على شاكلتكم، لاعموم المسلمين، والله أعلم.

ثم إنكم ذكرتم من أعمال السلف، أن من كان على غير السنة تركوه، وأهملوه ومقتوه، إلى آخر كلام واهي التركيب، وإلى الآن لم يظهر ما اردتم بمن هو مخالف للسنة لولا أنك أتيت بأبلغ تشبيه فيمن تقع عليه النصوص السابقة والاحقة فقلتم: كمتصوفة أهل زماننا،وإني أقول الآن استهل الجنين من بطن الشيخ صارخا، فعلمنا حينئذ ما هو المنكر الذي نوهت به وما هو السبب الذي وضعت الرسالة من اجله فكانت .عندك نسبة القوم من أعظم المناكر، وما ذكرته بعدها، ونبهت عليه من الموبقات، إنما هو على سبيل الاستطراد، لأن الاهم له الصدارة في كل شيء، إلا أن يقال قدم صاحب الرسالة ذكر المتصوفة لاجل التبرك بهم وما أظن.

وحاصل الأمر، أن ما اشرت إليه من المناكر ونوّهت به من البدع، حصره التشبيه في قولك: [كمتصوفة أهل زمننا] فلم يبق حينئذ منكر خارج على ما عليه المتصوفة حتى نتوقاه، وكل هذا لم



يستفزنا حيث قيدت المتصوفة بأهل زماننا، لولم تستطرد ما ذكره الطرطوشي: من أن مذهب التصوف عموما بطالة وجهالة وضلالة وياليتها لم تبلغك مقالة الطرطوشي لبقيت نقي الفؤاد من الطعن فيمن مضى من أهل الإرشاد، والله يحكم بينك وبين من عاصرك من العباد. ثم إنك قلت: إن الغالب من حال أهل هذا الزمان الذين انغمسوا في خابية أهل البدع، النفور من الذي ينهاهم عن بدعهم، وعوائدهم الذميمة التي لم تصادف قولا بالجواز ولو خارج مذاهب الائمة المقتدى بهم؛ قلتُ: لعل المراد من قولكم «الذين انغمسوا في خابية اهل البدع» هم طوائف الفقراء، وإن كان كذلك فما جسرك من فقيه، وما احسنك من نبيه فقد يظن المتهور ان من الشجاعة قلة الحياء، ولم يعلم أن الحياء من الإيمان، والذي ادهى وامر من هذا، هو قولك في بدعتهم «أنك لم تصادف لها قولا بالجواز، ولو خارج المذاهب المقتدى بهم» فقد فحصت واوجزت بارك الله فيك، فقل لي بالله عليك، ما هي هاته البدع التي لم تجد لها قولا بالجواز؟ فهل هي اجتماع الفقراء للذكر والمذاكرة أم ذكرهم بالجهر جماعة؟ أم رقصهم بالذكر وتواجدهم؟ أهاته الأمور الثلاثة التي اعيتك من البحث عنها في عموم المذاهب، ولم تجد لها قولا بالجواز؟ وفي ظني أنك لم تجد لها قولا ولو بالكراهة لأن القاعدة معلومة، في كون الكراهة لا تنافي الجواز، وهذا مما يوقف العجلة. والذي يضحك الثكلى، هو تعليلكم بِدْعَتهم بقولكم: [لأنهم يزعمون إما أن الفقيه العامل/ولعلك تعني به نفسك/ضيق عليهم لو أن ما قاله صاحب بدعتهم هو الصواب]فهذا الذي فسرتم به بدعتهم

التي لم تصادفوا لها قولا بالجواز، فياله من تركيب عجيب، وأسلوب غريب! ثم قلتم ( ولربما شتموه واستهزءوا به ) أي من نهاهم عن بدعتهم. فأقول: ولعله وقع لكم مثل ذلك، أو ما يقرب منه، ومن المعلوم تلقى ما تكره، لأن الجزاء من جنس العمل، وما أصابك ذلك إلا من عدم معرفتك لأسلوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، حيث لم تسر على ما شرعه الله تعالى لنبيه في الدعوة إلى الخلق من قوله: **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.** فالقوم الذين أقامهم الله تعالى لدعوة الخلق، عرفهم أسلوب التذكير، فانقاد لهم بسبب ذلك الكبير والصغير، والجليل والحقير، كلامهم مقبول في الاسماع، لأن وعظهم بارز من القلوب، لا من الكتب، والكلام إذا برز من القلب وقع فيه، فلهذا اثرت في القلوب موعظتهم، وسرت في المريدين إشارتهم، وقد فهموا من الآية الكريمة أن الناس جاءت على أزواج ثلاث، والرسول عليه السلام يقول: **نزّلوا الناس منازلهم.** فالقسم الأول من الأقسام، لا ينقاد للمذكر إلا بالحكمة وهم الخاصة من عباد الله. والقسم الثاني، تقيده الموعظة الحسنة الواقعة بين ترغيب وترهيب برفق وملاطفة. القسم الثالث أهل المجادلة، وهو الذي أتعب المرشدين رسولا ووليا، فأباح الله تعالى للرسول فتح باب المجادلة معه، إلا أنه قيدها بالتي هي أحسن، وهكذا الأحسن فالأحسن، ولهذا كان السيف هو آخر درجات التبليغ، ومن تخلف عن هاته الخطة المشروعة للتذكير، ففي الغالب يكون أمره مردودا عليه، وكل ذلك يستفاد من قوله عليه الصلاة



والسلام: **من أمر بمعروف، فليكن أمره بمعروف.** أي برفق ولين، ليكون أدعى للقبول، والله أعلم.

ثم انكم بعد ما فرغتم من مقدمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، توجهتم لتغيير ما اعتقدتموه منكرا، وهو ما عليه الصوفية من الإجتماع على الذكر، والصلاة على النبي، وتلاوة القرآن. قلتم:

( فصل ) سئل الحسن البصري عن اجتماع جماعة من أهل السنة والجماعة يقرؤن القرآن في بيت أحد، ويصلون على النبي ﷺ ويدعون لأنفسهم ولجماعة المسلمين، فنهى عن ذلك أشد النهي، لأنه لم يكن من عمل السلف الصالح، فليس من الدين، فقد كانوا أحرص الناس على الخير من هؤلاء، فلو كان فيه خير لفعلوه.

قلت: فإذا كان هذا الذي ضاق به صدرك من أحوال القوم، حتى أنك لم تجد له قولا بالجواز، حيث أنهم يجتمعون في بيت أحدهم يقرؤن القرآن، ويصلون على النبي، ويدعون لأنفسهم ولجماعة المسلمين، فظهر لك أنه معصية مخالف لما كان عليه السلف، فأنا أقول: اللهم اجعل معاصينا ومعاصي أصدقائنا، بل ومعاصي عموم المسلمين من هذا القبيل، إن كان الإجتماع على وجه ما ذكرتم، وإن كان فيه زلة لم تتضح، فالله يعصمنا وإياكم من الزلل.

ثم أقول: إن هذا النقل إن صح عن الحسن رضي الله عنه، فلا يفيدنا عموم النهي عن الإجتماع بصفة ما ذكر، وإن كان الحسن مجتهدا، فلا يبعد أن يكون مجتهد غيره في عصره، إن لم نقل

في تلك الجماعةُ نفسها، لأن العصر عصر التابعين، وثانيا ان هاته الواقعة تصلح أن تكون حجة للصوفية لا عليهم، حيث أنكم قررتم أن الإجتماع وقع بتلك الصفة في عصر التابعين، لأن المتعين علينا الإهتداء بهداهم، وهل تظن أن هاته الطائفة الميمونة وضعت دعائمها على غير أساس متين؟ أولم تعلم أن الحسن البصري الذي نقلت عنه هو أستاذ هاته الطائفة كما هو مشهور في سلسلة القوم، لقنه الإمام علي كرم الله وجهه وهو لقن داود الطائي ويوسف الأعجمي وغيرهما، إلى أن وصلت إلى الجنيد ومن طريق آخر أن الإمام علي كرم الله وجهه لقن ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو لقن أبا محمد جابر وهو لقن السيد سعيد القزويني إلى أن وصلت إلينا والحمد لله.

ولعلكم تجهلون أصل التلقين في الشرع، حسبما يظهر، وإلاّ لما أنكرتم التصوف وأهله، ولهذا لزمني أن استطرد لك جملة إما أن تكون لك حاجة أو عليك حجة ذكر الإمام الشعراني في كتابه النفحات القدسية في بيان قواعد الصوفية ما نصه: قال الأشياخ: والسر في التلقين ارتباط قلوب المريدين بأشياخهم إلى رسول الله ﷺ ، إلى جبرائيل عليه السلام إلى الله تبارك وتعالى في المحبة والإنقياد، ولذلك كان الإنسان إن لم يقل لاإله إلا الله امتثالا لقول رسول الله ﷺ : **قل لاإله إلا الله** لا يحكم بإسلامه ويؤيد هذا قوله ﷺ : **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به.**

ثم قال: أول ما يحصل للمريد، إذا دخل في سلسلة القوم



بالتلقين، يكون إذا دهمه أمر، وتشوش منه قلبه واضطرب، جاوبته أرواح الأولياء من شيخه الأدنى، إلى رسول الله ﷺ ، إلى حضرة الله عز وجل، فيزول كربه وهمه، ومن لم يدخل في طريق القوم بالتلقين، فلا تجيبه روح أحد من أهل الطريق، لعدم ارتباطه بهم، فحكم ذلك كسلسلة الحديد، إذا حركت منها حلقة جاوبتها بقية الحلقات]•وإذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق: روى الطبراني والإمام أحمد والبزار وغيرهم بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ كان يوما بجمع من الصحابة فقال: **هل فيكم غريب؟** يعني من أهل الكتاب. قالوا لا يا رسول الله. فأمر بغلق الباب. وقال: **ارفعوا أيديكم وقولوا لاإله إلا الله.** قال شداد بن أوس: فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لاإله إلا الله ثم قال رسول الله: **اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد.** ثم قال ﷺ: **ألا فابشروا بأن الله تعالى قد غفر لكم.** ففي الحديث دلالة للأشياخ في تلقينهم الذكر للمريدين جماعة

وأما تلقينهم فرادى فخرّجَ الشيخان والحافظ جلال الدين السيوطي رضي الله عنهم، من طرق متعددة حسن احاديثهم، عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه. قال: سألت رسول الله ﷺ **فقلت يا رسول الله! دلني على أقرب الطرق الموصلة إلى الله عز وجل، وأسهلها على العباد، وأفضلها عند الله تعالى؟ فقال رسول الله ﷺ: يا علي عليك بمداومة ذكر الله سرا وجهرا. فقال رضي الله عنه: كل الناس ذاكرون،**

**وإنما أريد أن تخصني بشيء، فقال رسول الله ﷺ: مه يا علي أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لاإله إلا الله، ولو أن السموات السبع، والأرضين السبع، وضعن في كفة، ولاإله إلا الله في كفة، لرجحت لاإله إلا الله. ثم قال يا علي، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله. فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: غمّض عينيك واسمع مني لاإله إلا الله ثلاث مرات، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع.** الحديث بمعناه في البعض، فهذا أصل سند القوم. وإنما أمر النبي ﷺ بغلق الباب في تلقينه اصحابه جماعة كما تقدم، وقال هل فيكم غريب؟ لينبه على أن طريق القوم مبنية على الستر، وصفاء الوقت من حضور من ليس منهم، ولا يؤمن بطريقهم، فلربما احتقر ما هم عليه لقصوره، قال يوسف الكوراني رضي الله عنه: إن عليا كرم الله وجهه لقن الحسن البصري، وهو لقن داود الطائي، ومنه إلى الإمام الجنيد شيخ الطائفة وعنه تفرع وانتشر التصوف في اصحابه وهلم جرا. ولا ينقطع حتى ينقطع الدين انتهى، بحروفه من (النصرة النبوية).

[وفي روح البيان عند قوله تعالى: **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله.** قال صاحبه: من هنا تتخذ سنة المبايعة وتلقين المشايخ للمريدين. ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان عند اربابه إنما المتوقف على مثله قليل الإطلاع.] ثم قل لي يشهدك الله هل لك سند بالخصوص في لاإله إلا الله حسبما دلت عليه الأحاديث السابقة؟ وما أظن!



ولنرجع إلى الكلام عن الإجتماع إن كان، حسبما ذكر أعلاه فأقول: بالله عليك أي ضرر يلحق الدين، إذا اجتمعت شرذمة من المسلمين في بيت من بيوت الله أو في أي بيت من بيوت المؤمنين، على تلاوة القرآن، وما هو من هذا القبيل؟ فإن كان استبعادك لمجرد ما نقلته من أن رجلا ذهب إلى الحسن البصري فأخبره بذلك الإجتماع، فنهى عنه أشد النهي، حسبما ذكرت، فهو دليل لا تقام الحجة به على فرض صحته، لأنه معارض للأثر الصحيح، والحديث الصريح، وحتى لو قلنا أنه لا نص في مشروعية الإجتماع على ذكر الله وما والاه. لا يجوز الإعتراض على ذلك، خصوصا لما قد صح عندك من أنه كان في عصر التابعين، وصدر فعله من أيمة الدين، الذين اجتمع غالب الأمة على عدالتهم ومكانتهم في الدين، وفي ظني أنه لا يتجاسر غيرك من علماء المسلمين، أن يقول لا خير في الإجتماع على ذكر الله ولو لم يكن فيه أقل نص يؤذن بالجواز، فكيف والآثار مشحونة بالترغيب فيه، والأمة مطبقة على ندبه وبالله العجب! كيف بلغك ما ورد عن الحسن البصري رضي الله عنه في النهي عن الإجتماع لأجل الذكر، وأنه شدد النكير على ذلك، ولم يبلغك ما ورد عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه مسلم والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إن لله ملائكة سيارة فضلاً يلتمسون حلق الذكر في الأرض، فإن أتوا على مجلس حف بعضهم بعضا بأجنحتهم إلى السماء، فيقول الله عز وجل من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك، يسبحونك**

ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك ويسألونك
ويستجيرونك. فيقول: ما يسألوني؟ وهو أعلم بهم، فيقولون
يسألونك الجنة. فيقول هل رأوها؟ فيقولون: لا يا رب،
فيقول: كيف لو رأوها. فيقول ومما يستجيرونني؟ وهو أعلم
بهم، فيقولون من النار، فيقول هل رأوها؟ فيقولون لا.
فيقول وكيف لو رأوها. ثم يقول: اشهدوا أني قد غفرت لهم ،
وأعطيتهم ما سألوني، وأجرتهم مما استجاروني. فيقولون: ربنا
إن فيهم عبد خطاء جلس إليهم، فيقول: قد غفرت له أيضا،
لأنه من قوم لا يشقى بهم جليسهم.

فانظر بارك الله فيك هذه الجماعة التي أخبرت بها الملائكة
رب العالمين، أليست هي نظيرة الجماعة التي أخبر بها الرجل
لحسن البصري، إن لم نقل هي بنفسها؟ وقلتم أنه شدد النكير، فما
بال الله سبحانه وتعالى يوسع على الذاكرين، ويواعدهم بما لا
عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأنتم
قابلتموهم بالنقمة نظير ما قابلهم الله به من الرحمة. فما بالك
تركت ما أفتى به الحق سبحانه وتعالى في أهل مجالس الذكر،
على لسان رسوله، وتحوجت لما وراء ذلك، فأخذت تقابل الشيء
بنقيضه، أو ليس هذا منك تحريف في شرع الله؟ فهيهات أن
تنجح مقاصدك فيما حاولته، لأن الأحاديث الصحيحة جاءت في
مدح مجالس الذكر أفواجا، فبحر السنة يتدفق بها أمواجا، ولنورد
لك منها نبذة، تكون إن شاء الله لدائك علاجا، أولم يبلغك أنه
كان ﷺ يشتهي أن يحضر مجلسا من مجالس الذكر، يستبدله



بالدنيا وما فيها؟

روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لأن
أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس،
أحب إلي من الدنيا وما فيها، ولأن أذكر الله مع قوم بعد
صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس، أحب إلي من الدنيا وما
فيها. ومثله ما رواه أبو داود عن أنس رضي الله عنهما، أن النبي
ﷺ قال: لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى
تطلع الشمس، أحب إلي من أن أعتق اربعة من ولد
إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى
أن تغيب الشمس، أحب إلي من أن أعتق اربعة من وَلَدِ
إسماعيل. وقال أيضا: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق،
يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا
هلموا إلى حاجتكم. فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء، ويقول
الحق تبارك وتعالى: اشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك
من الملائكة: يارب فيهم فلان خطاء، إنما مر فجلس معهم، قال
فيقول الله تبارك وتعالى: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. وقال
معاوية رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ على حلقة من
اصحابه فقال: ما اجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على
ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا. قال: آلله ما اجلسكم إلا
ذلك؟ قالوا آلله ما اجلسنا إلا ذلك! قال اما إني لم استحلفكم
تهمة لكم، ولكن اتاني جبريل فأخبرني ان الله عز وجل يباهي
بكم الملائكة. وقال ايضا عليه الصلاة والسلام: يقول الله عز وجل

يوم القيامة، سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال أهل مجالس الذكر. وقال أيضا: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل، لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء، أن قوموا مغفورا لكم، قد بدلت سيآتكم حسنات. وقال أيضا: إن لله تبارك وتعالى سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم. وقال أيضا: غنيمة مجالس الذكر الجنة. وقال أيض: إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة. قالوا أين رياض الجنة؟ قال مجالس الذكر. فاغدوا وروحوا في ذكر الله، وذكروه أنفسكم... وقال أيضا: ما من قوم يذكرون الله تعالى، إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده. واخرج الأصفهاني في الترغيب عن أبي رزين أن رسول الله ﷺ قال له: ألا أدلك على ملاك الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ قال بلى. قال: عليك بمجالس الذكر، وإذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله عز وجل. وقال أيضا: ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة. وقال أيضا: مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة، وتحف بهم الملائكة، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله.

ثم أقول: ولعلك قد كنت في غفلة من هذا، فقد يقول الحق لك: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد. فتأمل ما



جاءك عن رسول الله ﷺ إن كنت تزعم أنك من أمته فحديث واحد يكفيك العمل به في مشروعية مجالس الذكر، والذي يزيدك يقينا من أنها كانت على عهد النبي ﷺ هو ما أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن ثابت قال كان سلمان في عصابة يذكرون الله تعالى، فمر النبي صلى الله عليه وسلم فكفوا، فقال: إني رأيت الرحمة تنزل عليكم، فأحببت أن أشاركم فيها. ثم قال: الحمد لله الذي جعل من أمتي من امرت أن أصبر نفسي معهم. ومثل هذا ما تقدم من حديث معاوية رضي الله عنه من أنه خرج رسول الله ﷺ على حلقة من اصحابه فقال: ما اجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا. قال آلله ما اجلسكم إلاّ ذلك؟ قالوا آلله ما اجلسنا إلاّ ذلك. قال أما إني لم استحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة. أو لا يكفيك هذا في مشروعية مجالس الذكر، في زمانه عليه الصلاة والسلام؟ ومثله ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يأخذ بأصحابه في الذكر، حتى إذا ملوا أخذ بهم في غيره. نقله في (النصرة النبوية) ولكني لم أدر ما الذي آلمك من أمر الصوفية؟ هل هو الإجتماع بانفراده؟ أم الذكر بانفراده، أم هما معا؟ ولعله رفع أصواتهم بالذكر، وبسببه أنه لم يبلغك ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ وكذلك أقول: إنه كان على عهد الخلفاء، فقد روي أن أناسا كانوا

يذكرون الله عند غروب الشمس، يرفعون أصواتهم، فإذا خفيت ارسل إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ان نوهوا الذكر. أي ارفعوا أصواتكم، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر، فقال آخر: لو أن هذا خفض من صوته! فقال عليه الصلاة والسلام دعه، فإنه أواه. ومثله ما اخرجه البيهقي عن زيد بن اسلم قال ابن الاورع: **انطلقت مع النبي ﷺ ليلة، فمر بي في المسجد على رجل يرفع صوته بالذكر، فقلت يا رسول الله! عسى أن يكون هذا مرائيا، فقال عليه الصلاة والسلام: لا ولكنه أواه.** والذي ابلغ من هذا في التصريح، والكل صحيح، هو ما اخرجه ابو شجاع الديلمي في (مسند الفردوس) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **من قال لاإله إلا الله، ومد بها صوته، اسكنه الله دار الجلال، ورزقه النظر إلى وجهه.** أوليس في هذا ابلغ حجة في مشروعية الجهر بالذكر؟ وحتى لو قلنا أنك لم تجد له نصا في الإجتماع عليه بصوت واحد. كان من حقك أن تقول فيه ما قالت الفقهاء في اجتماع المؤذنين على صوت واحد، وقالوا: إنه أسرع في اختراق حرم الهواء، وأمكن في قلوب المستمعين.

وبالجملة انه لو لم يرد أقل نص على جواز الإجتماع للذكر والجهر به، لا يصح الإنكار عنه، لأنه قال به أكابر المجتهدين. وكل مجتهد يسلم له في اجتهاده، فكيف والآثار مشحونة بذلك تصريحا وتلويحا، ودلالة وإشارة حسبما تقدم.



وبالجملة، انه شاع ما عليه القوم من ذكر واجتماع، والفة ومحبة، وغير ذلك من لوازم الطريق، حتى كادت أن تجتمع الأمة على صحته، وإن أردت الإستطلاع على ذلك، والتتبع لفتاوي الفقهاء الماهرين، والأئمة العاملين في ذلك فانظر ما على هامش (رائية الشريشي) فقد جمع من فتاوي الفقهاء قديما وحديثا ما يتعذر علي نقله، ولا تظن أن المومى إليهم هم من أطراف الفقهاء، أو هم ممن اشتهروا بالتصوف، حتى تطرقهم التهمة، لأن المذهب عندك متهم، إنما هم من محققي مذهب الإمام مالك كالشبرخيتي وأضرابه، ومن محققي مذهب الإمام الشافعي كجلال الدين السيوطي وأصحابه، ومن محققي مذهب ابي حنيفة كالفيروزابادي صاحب القاموس وأمثاله، ومن هذه الطبقة جماعة وفي الظن الغالب انك تكتفي بنقل البعض.

فأقول: إنّ صاحب الفتوحات والأذواق نقل عن الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي أنه سئل عما اعتادته الصوفية من حلق الذكر، والجهر به في المساجد. وغيرها. فأجاب بعد كلام يشوه فيه حال المعترضين على الذاكرين، ثم قال: وها أنا أنقل لك ما كتبه العلماء في كتبهم المعتمدة المقبولة المعروفة عند أهل الإسلام، وانقل لك فتاويهم في المذاهب الأربعة والله ولي التوفيق والإنعام.

أما رفع الصوت فقد صنف فيه الحافظ المحدث الكبير (جلال الدين السيوطي) من كبار الأئمة الشافعية رضي الله عنهم رسالة سماها ( نتيجة الفكر في الجهر بالذكر ) مبناها جواب عن سؤال

رفع إليه فيما اعتادته بعض الصوفية من عقد حلق الذكر، والجهر به في المساجد، ورفع الصوت بالتهليل، وهل ذلك مكروه أم لا؟ فأجاب رضي الله عنه بأنه لا كراهة في شيء من ذلك، وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضي الاسرار به، ويجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، إلى أن استطرد أقوال بقية أهل المذاهب .اهـ.ولا ينكر فكري أنكم تعترفون (للسيوطي) بأن له من الإطلاع في الفروع والأصول أكثر مما هو لكم، كما تعترفون (للشبرخيتي) من محققي السادة المالكية أيضا. وها أنا أنقل لك ما نصه وما افتى به قال: بعد الحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله إن هؤلاء السادة ذكرهم مشهود مشهور، ويحضرهم فيه العلماء والفقهاء، قرنا بعد قرن من قديم الزمان، إلى الآن. فهم على حال محمود، وطريق بالخير معهود، فمن آذاهم فهو مستحق لما في الحديث القدسي من الوعيد: **من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب**. ومن لم يكن منهم وليا، فهو في حمى الأولياء لحبه لهم، ومشيه على طريقهم اهـ من بعض ما نقله عنه صاحب ( النصرة النبوية ).

وأما ما نقله عن (الفيروزابادي) المتقدم ذكره، أنه قال: لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم ببادي الرأي، لعلو مراتبهم في الفهم والكشف، ولم يبلغنا عن أحد منهم أمر بشيء يهدم الدين، ولا نهى أحدا عن الوضوء، ولا عن الصلاة، ولا عن غيرهما من فروض الإسلام ومستحباته إنما يتكلمون بكلام يدق عن الأفهام، وكان يقول: قد بلغ القوم في المقامات، ودرجات العلوم، إلى



المقامات المجهولة، والعلوم المجهولة، التي لم يصرح بها في كتاب ولا سنة، ولكن أكابر العلماء العاملين، قد يردون ذلك إلى الكتاب والسنة بطريق دقيق، لحسن استنباطهم، وحسن ظنهم بالصالحين، ولكن ما كل أحد يتربص إذا سمع كلاما لا يفهم، بل يبادر إلى الإنكار على صاحبه **وخلق الإنسان عجولا**. قال: وناهيك بأبي العباس بن شريح في العلم والفهم تنكر مرة ثم حضر مجلس (أبي القاسم الجنيد) ليسمع منه شيئا مما يشاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له ما وجدت؟ فقال لا أدري ما يقوله، ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ظاهرا، تدل على عمل في الباطن، واخلاص في الضمير، وليس كلامه كلام مبطل. اهـ من (النصرة النبوية).

ثم أقول لكم يا أخي: ما هكذا بلغنا عن اسلافكم من علماء تونس ونواحيها، إنما المشتهر عنهم احترام مذهب التصوف، وتعظيم أهله وقد وصلت إليهم فتوى في عصر شيخ الإسلام (محمد بيرم) في مسألة ما عليه القوم. فأجاب عن ذلك بجواب طويل منه أنه قال: إن هذا الطريق له سند يتصل بصاحب الشرع ﷺ فهذا لاشك أنه من أصول قواعد ديننا المتين. وقد نص العلماء في دواوين علم الحديث، وعلم أصول الفقه، أن السند من خصائص هذه الأمة الشريفة المباركة، والأصل فيه هو ما قدمناه. إلى أن قال: إن هذا الطريق يجهر فيه بالذكر، فهذا سائغ. فقد نقل في (الدر المختار) عن (الفتاوي الخيرية) ما نصه: جاء في الحديث ما اقتضى طلب الجهر بنحو **وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه** رواه الشيخان. ثم قال نقل (الحموي) عن

الإمام (الشعراني) ما نصه: اجمع العلماء سلفا وخلفا على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها. إلاّ أن يشوش جهرهم على نائم أو مصلّ أو قارئ... فإنه قد ذكره (صاحب النصرة) بطوله. فهذا ومثله شائع عن علماء تونس في احترام المنتسبين إلى الله، إلاّ ما وقع من (القاضي ابن البراء) مع (الإمام الشاذلي) رضي الله عنه. والحكاية مشهورة ولكن (ابن البراء) لم يعارض المذهب من أصله، إنما عارض شخصا معينا بنفسه، وقد وقع له من المقت ما يشهد التاريخ به، حفظنا الله والمسلمين من سوء الإنتقاد على الإسلام والمسلمين.

ثم إنكم قلتم: إن مالكا رضي الله عنه قال في قوله تعالى **اليوم أكملت لكم دينكم.** فمالم يكن يومئذ دين لم يكن اليوم دين، وإنما يعبد الله بما شرع، ثم واصلته بقولك: وهذا الإجتماع لم يكن مشروعا قط، فلا يصح أن يعبد الله به. وَمَنْ كَانَ مِثْلَكَ/ لا يفرق بين النقل وكلام نفسه/ لَايُوثَقُ بِعِلْمِهِ، سئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن ابن اسحاق اذا انفرد بحديث اتقبله؟ فقال لا والله، إني رأيته يحدث عن جماعة ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا، وفي ظني أنك تريد أن توهم القارئ، من أن جميع المقالة لمالك، إن ما عليه الصوفية في مذهبهم هو من قبيل دين جديد، وهذا منك في أقصى درجات التشنيع، وبتهمتك للصوفية تتعدى لتهمة سائر المذاهب، لأنك تعتبر الإجتهاد دينا زائدا، وحاشا لله أن تجتمع الأمة المحمدية على استبدال دين الإسلام بغيره، ولو تنبهت إلاّ لمجرد استدلالك بقوله عليه الصلاة والسلام: **فعليكم بسنتي وسنة**



**الخلفاء الراشدين من بعدي...** لعلمت أن اجتهاد المجتهدين هو من السنة لأنهم خلائف في الأرض، وقد انعقد الإجماع على أمانتهم، وكان من حقك على الأقل أن تعتبر أن المؤسس لمذهب التصوف من أحد المجتهدين في الدين؛ لإجتهاده في مقام الإحسان، فهو كالاشعري في مقام الإيمان، ومالك ونحوه في مقام الإسلام، والدين مجموع ثلاثة كما في الحديث المشهور. وهذا إذا لم يتضح لك ما عليه القوم من الإجتماع، هو مأخوذ من صريح الشرع، حسبما دلت عليه الأحاديث التي تفيد الترغيب في مجالس الذكر، وحتى لو قلنا أن ما عليه القوم أنه بدعة، ألا يصلح أن يكون من البدع المستحسنة المسماة بالسنة المأخوذة من قوله عليه الصلاة والسلام: **من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين.** فتأمل كيف سمى البدعة سنة ألم يبلغك أن الإجتماع على قيام رمضان في المساجد هو مما ابتدعه عمر، فكان سنة متبعة وقال فيها رضي الله عنه فنعمت البدعة ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان. مع أنه داخل العبادات.

وأما مذهب التصوف إنما هو يدخل العبادات من جهة ارتكاب العزائم، لا من جهة النقص والزيادة، ومعظمه متعلق بتصفية الباطن. وتحسين الأخلاق، والإشتغال بالذكر، والحضور مع المذكور، وما هو مقرر بمحله. وهل ترى ذلك مما هو مناقض للدين؟ أم هو عمدة فيه؟ ثم انك أخذت في تزييف البدع، وفي ظني أنك لا تميز بين البدعة المستحسنة المعروفة بالسنة كما تقدم في قوله عليه الصلاة والسلام: **من سن سنة حسنة...**

وبين ما هي بخلاف ذلك ولهذا يخشى عليك أن تزيف أنت تعامل به ربك الآن من حيث لا تشعر، ألم تعلم أن البدعة قد تجري فيها الأحكام الخمسة من الوجوب، والندب، والإباحة والكراهة والحرام؟ وقد بالغ في تقرير ذلك (عز الدين بن عبد السلام) ومثل للواجب منها فقال:[هو ما يتوصل به إلى واجب كعلم النحو] أولم تعلم أنه بدعة؟ ومثله ما بأيديكم من الفنون كالبلاغة والمنطق، والعروض وعلم التجريح والتعديل، والمصطلح. إن لم أقل الدرس والتدريس، بل كتابة العلم نفسها من البدع، وإن كانت كذلك فما تقول في هذه المحدثات؟ أهي من البدع الضالة التي هي في النار؟ أم من المستحسنة المأجور عليها؟ وإن كنت تقول بالآخر، فلم لا تجعل مجالس الذكر من ذلك القبيل؟ وهذا بقطع النظر عما دلت عليه الدلائل والنصوص الصريحة التي لا تحتاج للتأويل، ولكن عدم الإنصاف يقطع لسان الإعتراف، وقلة العلم تمنع صاحبها من الفهم، لأن العلماء رضي الله عنهم، قد عرفوا معنى البدعة التي يتعين اجتنابها، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:[إن البدعة ما خالفت كتابا، أو سنة أو إجماعا، أو أثرا. وما لم يخالف شيئا من ذلك فهي المحمودة] والمخالفة لما ذكر إما تصريحا أو إلتزاما، قد تنتهي إلى ما يوجب التحريم تارة، والكراهة أخرى، على ما رواه ابن حجر الهيتمي، وفي ظني أنك تسلم أن الإجتهاد من خصائص هذه الأمة وتعلم أن أركان الدين ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان. فلم تسلم اجتهاد الأيمة الأربعة ونحوهم في مقام الإسلام، وتسلم اجتهاد الأشعري والماتريدي في



الإعتقاد، الذي هو مقام الإيمان، ولا تسلم اجتهاد الجنيد وعصابته في مقام الإحسان، وهل لا تعتبر الإحسان ركنا؟ لا والله ما هذا ظني فيكم، أن تغفلوا ما هو الأهم، وما استطردناه في معنى البدعة يحتاج إليه فيما لا نص فيه، حتى ينظر فيه أهو من البدعة الضالة أم هو من البدع المستحسنة؟

وأما ما عليه القوم من الإجتماع، هو من الشرع في أقصى درجات الوضوح، إلا عند من لم يتتبع الآثار، أو اعماه وجود التعصب، على أن يقع بصره على ما في الكتاب والسنة لما يرشده لذلك، وقد تقدم لك بعض ما في الآثار من الترغيب في حلق الذكر، والإجتماع عليه وإني على يقين من أنكم على خبرة من ذلك، وما ذكرته إلا جريا على ما اعتادته البلغاء، من تنزيلهم العالم أحيانا منزلة من لا يعلم. كقول الأخضري:

**كقولنا لعالم ذي غفلة ☆ الذكر مفتاح لباب الحضرة**

وإذا تقرر لديك ما تقدم من الترغيب في مجالس الذكر، فقل لي بالله عليك أين يوجد هذا الإجتماع المرغب فيه؟ هل هو في غير البسيطة؟ أم هو في غير أمة محمد؟ أم هو يسمع ولا يرى؟

وفي ظني انك احتقرت المنتسبين المجتمعين على الذكر، وإلا حسدتهم فيما هم عليه ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قد وصفهم لك بأنهم أخلاط من قبائل شتى، يجتمعون لأجل ذكر الله لاغير. قال عليه الصلاة والسلام: **عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمينا رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله**

**عز وجل. قيل يا رسول الله من هم؟ قال هم جمع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام، كما ينتقي آكل التمر أطايبه.** أليس هذا يرحمك الله من أخص أوصاف الصوفية؟ أليس في علمك أنهم يجتمعون من قبائل شتى، لا لأرحام يتواصلونها، ولا لأموال يقترفونها. أليس هم المتحابون الذين يقول فيهم الحق سبحانه وتعالى يوم القيامة ويناديهم: **أين المتحابون فيّ؟** فما هذه الداهية التي أصابتك؟ فعمدت تقطع وصلة أمر الله بوصلها واحترامها، ألم تعلم أن محبة الله هي عبارة عن حب الذكر والذاكرين؟ ألم تعلم أن الله يغير على أهل نسبته، ولو كانوا كاذبين؟ انشدك بالله وبحرمة رسول الله إلا ما رجعت عن بغض أهل لا إله إلا الله، وتركتهم وشأنهم يحكم الله فيهم يوم القيامة فإني اخشى عليك أن تكون لاإله إلا الله خصيمتك يوم القيامة. **ويحذركم الله نفسه.**

قال ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه في وصيته:(إياك وإياك ومعاداة أهل لاإله إلا الله فإن لها من الله الولاية العظمى، فهم أولياء الله وإن أخطئوا، وجاءوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون به شيئا، قابلهم الله بمثلها مغفرة.)ويشهد لهذا، ما رواه حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **يأتي على الناس زمان، لا يعرفون فيه صلاة، ولا صياما ولا حجا ولا زكاة، يقولون أدركنا آباءنا يقولون لاإله إلا الله.** فقيل لحذيفة: ما تغني عنهم لاإله إلا الله؟ فقال تنجيهم من النار، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار. فإن كان هكذا، فكيف يكون حال من يصلي



ويصوم ويحج ويزكي؟ فهل تصح عداوته؟ فبحقهم عليك الا ما رجعت عن بغض المنتسبين إلى الله؟ وتحببت إليهم! ولتذعن بكل قلب ولسان قائلا: عفا الله عما سلف. وأي معصية أشنع من تطبيقك جميع ما ورد في أهل الزيغ والضلالة على جماعة الصوفية ولم يكفيك ذلك حتى جعلتهم فرقة من أهل النار، مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام: **ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، كلهم في النار، إلا فرقة واحدة وهي ما كنت عليه أنا وأصحابي.** وهذا صريح في أنك تعني أن فرقة أهل التصوف واحدة من تلك الفرق، وإني أحكمك لله، ولرسوله ولصالح المؤمنين، فيما بينك وبين الصوفية.

ثم أقول لك: إذا جعلت مذهب أهل التصوف فرقة من تلك الفرق، يتعذر عليك ايجاد تمام البضع والسبعين فرقة إلا إذا أتممتها بنفسك وبمن هو على شاكلتك لأنك حصرت الفرق في أهل السنة والجماعة وهلا نقلت حديثا نقله الإمام الغزالي في كتابه المسمى ( فيصل التفرقة ) وهو قوله عليه الصلاة والسلام: **ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، كلهم في الجنة، إلا الزنادقة.** ولكن هذا لا يقع عليه بصرك، وإنما يقع على ما يساعدك في الحكم على سائر أفراد المسلمين بالنار، حتى تخلو لك الجنة أنت، ومن هو على شاكلتك لاغير. **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين.** وفي الغالب تتشوف لوجه التطبيق بين

الحديثين وهذا ونحوه لا تجد من يرفع عنك معضلته إلا صوفي، ومحال أن تتنزل له لأن الحسد يسد باب الإنصاف، ويقطع لسان الإعتراف، وعلى كل حال نذكر ما فتح الله به وإن كنت لا حاجة لك فيه، فإن لكل ساقط لاقط.

فأقول: إن وجه التطبيق بين الحديثين سهل، وليس هو إلا أن تجعل الأمة في الحديث الأول عائدة على أمة الدعوة، وفي الحديث الثاني على أمة الإجابة ويتضح المعنى باستخدام وإيراد الحديث بطوله قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور: **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار، إلا واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي.** فيتضح من سر الترتيب، أن الملل كانت سبعين ملة والملة التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام هي تمام إحدى وسبعين فرقة كلهم في النار، إلا ما كان عليه موسى وأصحابه وجميع الفرق تسمى أمته من حيث الدعوة لأنه رسول زمانه ولما بعث عيسى عليه السلام بملة كانت هي تمام اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار، إلا ما كان عليه عيسى وأتباعه ولما بعث أحمد ﷺ بالملة الأحمدية السمحاء، كانت هي تمام الثلاث والسبعين فرقة كلهم في النار، إلاّ ما كان عليه هو وأصحابه ويعني بالأمة أمة الدعوة، لأنه عليه السلام كان يقول: **أنا رسول من أدركته حيا ومن يولد بعدي.**

ثم ان الملة الأحمدية افترقت حسب الحديث الثاني على بضع



وسبعين فرقة وهذا يحمل على تعدد المذاهب، وتباين المشارب، وكلهم في الجنة إلا الزنادقة وهذا ما يناسب الشفقة المحمدية والرحمة الإلهية وإلا لهلكت الأمة بأجمعها، اذا كان الناجي جزءا من بضع وسبعين جزءا، والحالة أنه غير معين، لأن كل فريق يزعم بنجاته! وأنا أقول: إن الله سبحانه عند ظن كل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، مهما اجتهد لنفسه بما يقربه إلى الله فإن أصاب فله أجران، وإن لم يصب فله أجر، فهو مأجور على كل حال، أحببت أم كرهت، لأن الخلق ما كلفوا إصابة الصواب، إنما كلفوا الظن بأنه صواب، وجميع ذلك مما يقتضيه تسامح الشرع الأحمدي، المشار إليه بقوله تعالى: **ما جعل عليكم في الدين من حرج.** ويشهد لما ذكر، ما رواه الطبراني مرفوعا عن رسول الله ﷺ أنه قال: **إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة طريقة، ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا.** والذي اباح في التأييد وهو الحق الأكيد، إن شاء الله ما ذكره السيوطي في ( الجامع الصغير ) عن رسول الله ﷺ أنه قال: **ما من أمة إلا وبعضها في النار، وبعضها في الجنة، إلا أمتي، فإنها كلها في الجنة.** فلم لم تصادف هاته الأخبار التي تفيد الوسع، وتقضي على الأمة بالنجاة ولكنك تنظر بالعين العوراء، فلهذا أراك إلى الآن لم تترك نصا يقضي على الذاكرين بالنار، والخروج من سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء، إلا وألصقته بجانبهم، ألا ترى أنك قلت بعد أن برهنت على أنهم المبتدعة أن رسول الله ﷺ قال: **أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة، حتى يدع بدعته.** ومرادك أنه لا يقبل شيئا من أعمال

الذاكرين، حتى يتركوا ما هم عليه من الذكر والإجتماع، لأنه بدعة في زعمك، وياليت شعري اذا افترقت طوائف الذاكرين وما هم عليه من السواد الأعظم، فإلى أين يذهبون، وأي مجلس اخترته لهم، فهل في الشوارع ينتشرون؟ أم للهو يقصدون؟ ألم تعلم أن الإنسان بالطبع يألف الإجتماع، فإن كان ولا بد، فأي شيء تختار لعوام المسلمين، إن لم يجتمعوا على الله؟ وبالذكر يجهرون؟ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون وبعد ذلك اتحفتهم بحديثين فقلت: أخرج أبو نعيم ( أهل البدع شر الخلق والخليقة ) وأخرج غيره ( أصحاب البدع كلاب النار ) ولما خشيت أن القارىء لا يفهم من هم أهل البدع المشار إليهم، لأن الناس تتفاوت في الفهم، فوضحت ذلك بقولك: قال الأستاذ أبو بكر الطرطوشي: [ مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة فما الإسلام إلاّ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

فأقول: فما أجرأك على أهل نسبة الله! وما أحدّ لسانك في أكل لحوم أهل الله! والله لأن تهدم الكعبة أولى لك من أن تتفوه بمثل هاته المقالة عرفت التصوف بأنه بطالة وجهالة وضلالة والله لقد عرف التصوف علماء الدين وحكماء المسلمين بخلاف ما عرفته فقالوا إن التصوف عبارة عن تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية التصوف الخروج من كل خلق دني، والدخول في كل وصف سني، وقال (ابو القاسم الجنيد) رضي الله عنه: التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا من بعض ما عرفوا به التصوف.



أما قولكم [ التصوف بطالة ] فمردود عليكم بما قرروه، بأن الصوفي يحاسب نفسه على الأنفاس، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: **حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**. وهل ترى هذا من البطالة؟ وأما قولكم [ مذهب التصوف جهالة ] فهذا مردود عليكم أيضا، بما أبدوه من العلوم التي تعجز عنها فحول أكابر الرجال، فضلا عمن هو على شاكلتكم، ومؤلفاتهم أعدل شاهد، ألم تعلم أن التصوف ذكره بعض الأكابر من فروض العين، كالإمام (الغزالي) والشيخ (السنوسي) صاحب (العقائد) فقال: [يجب السعي إلى من اشتهر به، ولو بغير رضاء والديه] وقال (الجنيد) رضي الله عنه: [لو أن تحت أديم السماء أشرف من العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعينا إليه] وقال (الشيخ الصقلي) في كتابه المسمى (بنور القلوب): [كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة، ومن فهمه فهو من خاصة الخاصة ومن عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك، والبحر الذي لا يترك]

قلت: يشهدك الله فهل تفهم شيئا من مكنون علمهم، ودرر لغزهم؟ كلا. فما أنت إلاّ من وراء حجاب من حديد، ولهذا اصبح عندكم جهالة أما قولكم انه [ضلالة] **فالله أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى.**

ثم أقول: إنني لا أنكر وجود المعترضين في كل عصر من أهل السنة على بعض أفراد المتصوفة لاحتمال وجود النقص في المعترض، أو المعترض عليه وأما إنكار مذهب التصوف من أصله لم تتظاهر به أهل السنة إنما تظاهرت به بعض الفرق التي لا

أهمية لها بالنظر للسواد الأعظم، ولهذا لم ترج معتقداتهم، وأي شيء أخترته في تلك المذاهب المندرسة، حتى قمت تنتصر لمذهبهم، وتحيي من معتقداتهم ما اندرس؟ فأخذت تبث في قلوب أبناء الوطن سوء الظن بالذكر والذاكرين، وفي ظني أن مجلسك لا يخلو من نحو ما كتبته في هذا الشأن، وإن كان كذلك فالله يعصم من حضرك، كي لا يشاركك إلاّ فيما يعود عليه بالنفع، ويترك ما وراء ذلك.

وأما قولكم [فما الإسلام إلاّ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ] فمن ذا الذي بلغك عن الصوفية أنهم يقولون أن الإسلام غير هذين الأصلين؟ نعم: يقولون ان في كتاب الله من العلوم ما لا يتوصل إليه العموم. قال سلطان العاشقين:

**فثم وراء النقل علم يدق عن ☆ مدارك غايات العقول السليمة**

قلتُ: ولعل المتجمد على الظواهر، لا يرى من كتاب الله إلاّ ما وصل إليه من جهة بضاعته القليلة وقريحته الكليلة وينكر ما وراء ذلك ولم يعلم أن ما عرفه من ظاهر الكتاب، إلا كمن عرف القشر من اللباب، وما وراء ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وهل يعتقد أن ما وصل إليه فهمه، هو ما كانت عليه بواطن أصحاب رسول الله ﷺ في كتاب الله؟ كلا! وليفتش نفسه إن كان ما أكنه فؤاده أعز مما تحدث به، فهو على بينة من ربه، وإلا ما ضاع له أكثر مما حصل عليه. قال عليه الصلاة والسلام: **إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا أظهروه أنكره أهل الإغترار بالله.** وقال:



**علم الباطن سر من أسرار الله، وحكم من حكمه يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده.** وقال أيضا: **العلم علمان: فعلم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم.** فدل هذا على أن العلوم الخفية غير العلوم المتعاطية. قال (ابو هريرة) في ما شاع عنه: [حفظت عن رسول الله وعاءين من العلم؛ أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني البلعوم] نقله ابو عمر بن عبد البر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: [لو قلت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى: **يتنزل الأمر بينهن**، لرجمتموني، أو لقلتم إني كافر.] ذكره (الشعراني) في (اليواقيت والجواهر) ومما ينسب (الزين العابدين) رضي الله عنه:

**يارب جوهر علم لو أبوح به ☆ لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا**
**ولا ستحل رجال مسلمون دمي ☆ يرون أقبح ما يأتونه حسنا**

وقال (سلمان الفارسي) رضي الله عنه: [لو حدثتكم بكل ما أعلم، لقلتم رحم الله قاتل سلمان] وقال (الإمام علي كرم الله وجهه): [إن بجانبي علما لو قلته لأزلتم هذا عن هذه، وأشار برأسه عن جثته] فدل هذا على أن في الزوايا خبايا.

وفي قولكم [فما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ] فكأنكم تشيرون أن ذلك هو الذي فهمتموه من كتاب الله، ألم تعلم أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا. كما هو الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ نقله في (تاج التفاسير) وحتى لو قلنا أنك على خبرة من ظواهره، فهل علمت شيئا من باطنه؟ وأين أنت من

حده ومطلعه؟ ذلك حظ العارفين في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ عن (ابي الدرداء) رضي الله عنه قال: [لن تتفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة] وقيل: أنه حديث عن شداد بن اوس نقله (ابن عبد البر). ولكنك ترى الإسلام مجرد ما أنت عليه ومن هو على شاكلتك وإن كان كذلك فإنك سويت بين سريرتك وسريرة أصحاب رسول الله ﷺ بل وسريرة الأنبياء عليهم السلام. وهذا من الجهل في أقصى غاية ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال: **لن تخلو الأرض من أربعين رجلا على قلب خليل الرحمن.** وهل أنت من هاته العصابة المشار إليها في الحديث؟ فإن كنت كذلك فلا يبعد أن يكون لك لوفر نصيب من الإطلاع على مكنونات الدين، وإلا فسلم العلم لأربابه لأن الأثر صريح في ذلك لمن تتبعه بأن في الأمة خصوصا أطلعهم الله سبحانه وتعالى على أسرار الكتاب والسنة ومهما صح ذلك فهل توجد تلك العصابة المشار إليها في غير الذاكرين الموسومين بصفة الإنقطاع لله عز وجل، **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** وفي مثلهم قال (ذو النون المصري) رضي الله عنه: [اجتمعت بجارية في بعض السياحات، فقلت لها: من اين اقبلت؟ فقالت من عند أناس **تتجافى جنوبهم عن المضاجع.** فقلت لها وإلى أين تريدين؟ فقالت: **إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ولكنك ظننت أن التصوف عبارة عن جماعة من الناس، يجتمعون للرقص، ونشد الأشعار، لاغير. ومثلك كمن قصد راعي الغنم بالليل يطلبه أن يتصدق عليه بماشية فأذن



له في ذلك فذهب ليأخذ ماشية فوقعت يده بالليل على كلب الحراسة الذي هو عادة يكون مختلطا بالمواشي، فلما أصبح الصبح، وجد بيده كلبا، فأخذ يتهم راعي المواشي، ويلقبه براعي الكلاب. وهذا ما يقتضيه لسان ما جمعتموه، لأنكم أقصرتم التصوف على الرقص، وما في معناه، ولهذا قلت: [إن من البدع المنكرة المحرمة الرقص بالذكر.] ثم أتيتم بقول (الطرطوشي) الذي قضى على خيار الأمة المحمدية بالبطالة والجهالة والضلالة، ولم يكفكم هذا حتى وضعتم عليهم تشبيها بليغا أخرجهم من دائرة الإسلام والمسلمين، وهو قولكم نقلا عمن لا يتقي الله مثلكم، أو لم يقصد بذلك إلاّ جماعة بعينها: [أما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، فإنهم لما عبدوا العجل صاروا يرقصون حوله، ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل] وفي ظني أنكم تجاوزتم الحد فيما ارتكبتموه، فلا مسلك وخيم في أعراض أهل الله إلاّ وسلكتموه.

ثم أقول إن كان تشبيهكم هذا للفقراء بعباد العجل، فيه اصابة من حيث الهيئة الموجودة في الفريقين، وقد صادفتم فيما زعمتم، فهل صادفتم وجه الشبه فيما بين المعبودين المتواجد من أجلهما، بين عجل الإسرائليين، وإله الذاكرين؟ فتعالى الله عما يقول الظالمون! وحقي أن لا نشتغل بالكلام على هاته العبارة الواهية لأنها زيفت وردت من عدة وجوه، وقد أطال الكلام عليها غير واحد، وذكروا أنها مدسوسة على أبي حنيفة، وحاشاه أن يقول مثل ذلك!!

ثم أتكلم في التواجد الذي ذكرتم تحريمه (1) وإن كان ليس هو المقصود من طريق القوم، إنما هو نتيجة وجل الذي عدمتموه. قال تعالى: **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا.** فها هو تعالى اخبرك عما يلحق الذاكر من الوجل، رجعله من اخص صفات المؤمنين. ألا ترى أنه تعالى اثنى على أهل الكتاب بما يحصل لهم من الوجد، فذكر احد لوازمه بأبلغ ما يكون من المدح فقال: **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق.** أوليس في هذا ما يدل على وقوع حركة في باطن المؤمن من أجل ذكر الله، واستماع كلامه؟ أولم يقل تعالى: **لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله.** ثم بين معنى القرآن الذي تتصدع منه الجبال فقال: **هو الله الذي لاإله إلاّ هو.** إلى آخر ما سرده من الأسماء الحسنى. فلم لا تعذر القلوب إذا تصدعت، والأجسام إذا تمايلت من شيء تتصدع منه الجبال؟ وليس ذلك إلاّ لأنك لم تجد في باطنك ما

(1) قال الحافظ الإمام (ابن قيم الجوزية) في شرحه على (منازل السائرين) في الجزء الثالث منه عند كلامه على الوجد والتواجد صحيفة 65 مانصه: والتواجد استدعاء الوجد بنوع اختيار، وتكليف، واختلف الناس هل يسلم لصاحبه على قولين، والتحقيق أن صاحب التواجد ان تكلفه لحظ وشهرة لم يسلم له وإن تكلفه لإستجلاب حال أو مقام مع الله سلم له وهذا يعرف من حال المتواجد، وشواهد صدقه واخلاصه نقله الأستاذ الجليل سيدي (عبد الحي الكتاني) في تذييله لهذه الرسالة كما هو مذكور اخيرا



وجده غيرك، لأنه تعالى ذكر من القلوب ما هو كالحجارة، أو أشد قسوة، أو لأنك ذكرت أسماء الله، وتلوت كتاب الله على ظاهر قلب، ألم يبلغك أن سيدنا (عمر) رضي الله عنه مر برجل يقرأ [**إن عذاب ربك لواقع**] فصاح صيحة سمعت من أقطار المدينة، ثم غشي عليه فحمل إلى منزله فمكث يومين لم يرجع كلاما. وسمع (الشافعي) رضي الله عنه قارئا يقرأ [**هذا يوم لاينطقون، ولا يوذن لهم فيعتذرون**] فغشي عليه وحمل إلى منزله. ومثل هذا لا يحتاج إلى شدة بيان، فقد قضى الوجل والتواجد بانمدام الكثير من السلف الصالح. ألم يبلغك ما جاء في الآثار عن مجلس سيدنا (داود عليه السلام) وما كان يقع فيه للجموع، اذا أخذ في قراءة الزبور؟ وهل تظن أن بني اسرائيل كانت أرق أفئدة من أمة محمد ﷺ؟ وعلى كل حال فإني أظنك لا تنكر حصول الوجل الذي هو علة في التواجد، بل تسلمه لبعض أفراد غير معينين تسليما علميا، لا ذوقيا، وإن كان كذلك، وعلمت أنه من أخص لوازم الشعور، فلم تخصصه بدين الكفار، الذين وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله: **إن هم إلا كالأنعام.** فإنك جعلتهم أرق أفئدة من الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، وهل جعلت شغف الإسرائليين بالعجل أشد شغفا من أهل محبة الله؟ والله يقول: **والذين آمنوا أشد حبا لله.**

**قوم تخلجهم زهو بسيدهم ☆ والعبد يزهو على قدر مولاه**

فالإسرائليون حركهم ما أشربوه في قلوبهم من حب العجل، والصوفية حركهم ما أشربوه في قلوبهم من حب الله فوقع منهم ما

أنكرته عليهم، ومن جهل شيئا عاداه. أولم يبلغك قوله تعالى: **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.** ألم تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر في أمته أقواما يدخلون الجنة أفئدتهم مثل أفئدة الطير. ذكره في (الجامع الصغير) وعلى هذا فأين يوجد المشار إليهم، إن لم يوجدوا في حيز الذاكرين؟ وفي الغالب أنك تحدث نفسك أنك منهم. فأقول: بالله عليك الا ما أخبرتني آأنت من الذاكرين الله كثيرا؟ أم من الذين **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؟** أم من الذين لا تلهيهم أموالهم ولا اولادهم عن ذكر الله؟ أم من **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** ؟ أم من **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ؟ أم من الذين **إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** ؟ أم من الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام: **سبق المفردون المستهترون بذكر الله** ؟ أم ممن قيل فيه مجنون، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: **أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون** ؟ أم ممن قيل فيهم مراءون، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: **أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقول المنافقون أنكم مراءون** ؟ عزمت عليك بالله إلاّ ما أخبرتني من أي فريق أنت؟ آأنت من القائلين، أم ممن قيل فيهم؟

وبالجملة إن التواجد لا يستبعد وقوعه، إلاّ غليظ الطبع، جافي الأخلاق، كما يستبعد العنين لذة الجماع، وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا يفوتك التصديق بها في غيرك.

قال الشيخ شعيب أبو مدين رضي الله عنه:



**فقل للذي ينهى عن الوجد أهله ☆ إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا**
**فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا ☆ وخامرنا خمر الغرام تهتكنا**

إلى آخر ما قرره فيما يتعلق بالوجد والتواجد، ومع هذا إنني لا أقول بأن الرقص والتواجد هما من لوازم التصوف، إنما هما من لوائح ما ينشأ عن الإستغراق في الذكر، ومن شك فليجرب، فليس الخبر كالمعاينة وهذا ما يتعلق بالتواجد، وأما الرقص فسيأتي الكلام عليه.

ثم أراك بعدما حكمت على السواد الأعظم من أمة محمد بالتضليل، أخذت تحرض الأمراء على أفعال الخير في خلتك وإنما اردت مشاركتهم لك في مصيبتك فقلت: [ينبغي للسلطان أو نائبه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها] ولا فائدة تلحقك وتلحق من عمل بإشارتك إلا الدخول تحت قوله تعالى: **ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها.** فقد سعيت في تخريب بيوت الله، وعرضت ولاة المسلمين لسخط الله وللخزي المترتب على من فعل مثل ذلك ولكن رجال الحكومة أوسع منك نظرا، وأشد منك محبة في الذكر والذاكرين، فلا زالت الأمراء في سائر أصقاع المسلمين قديما وحديثا في إكرام المنتسبين، والتعظيم لجنابهم على اختلاف طبقاتهم، وليس ذلك إلاّ بسبب من لازمهم من علماء الملة جزى الله الفريقين خيرا. وأما من سواهم من العلماء المتهورين، فلا يعبأ به، ولا يعتد بفتواه، لأنهم على علم من أن ما صدر منه إنما هو عن ضيق في صدره، أو قصور في علمه وما

يدريك أن يكونوا من امرت بإخراجهم من مساجدهم المقصودون من قوله عليه الصلاة والسلام، لما سئل عن الذين يقال لهم يوم القيامة **سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، فقال هم أهل الذكر في المساجد.** رواه الإمام أحمد.

ثم أقول: إذا أمرتهم أن يمنعوهم من المساجد، فلم لم تقتصر على ذلك حتى أمرتهم أن يمنعوهم من الإجتماع ولو في بيوتهم؟ والحالة أنهم لا يمنعون أهل الكتاب من الإجتماع في كنائسهم، موافقة لما قرر الشارع من احترام الكتابيين من أهل الذمة، وهلا جعلت طوائف الذاكرين على الأقل من ذلك القبيل؟ ولكنك ترى الإجتماع على ذكر الله وتلاوة القرآن، من أعظم المناكر، كما قررته في غير ما موضع. فلهذا أمرت الحكومة بتغيير هذا المنكر الشنيع، حتى لا يعود أحد يجتمع على ذكر الله وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي عليه السلام، أو مما هو من هذا القبيل. **والله متم نوره ولو كره الكافرون.**

وبعدما حكمت بتضليل ماهم عليه من الإجتماع للذكر ونحوه قلت: [ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم.] فيالله العجب! متى جاء هذا الدين الذي نزل بتحريم الحضور مع الذاكرين؟ وهذا إذا كان مجرد حضور، فيكون محرما. وأما إذا تحركت شفتاه مع الذاكرين بكقولنا (لاإله إلا الله) فلم ندر ما حكم الله في ذلك، ولعلك تراه مرتدا، أو ما هو من هذا القبيل. اللهم إنك تعلم براءتي، وبراءة الإسلام والمسلمين ممن يعتقد هذا ونحوه، وعلاوة على ما تحملته من الزور، وارتكبته



من الفجور قلت: [وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم] فأشركت أئمة الدين فيما ارتكبته، وادعيت أن الأئمة يقولون ما قلته، وحاشا لله وها أنا أنقل لك زيادة على ما نبهنا عليه من فتاوي علماء المذاهب الأربعة، أين توجد في هاته النازلة وأن ذلك يتعذر نقله لكثرته، وعلى كل حال ذكرنا لك منها جملة ممن لا تخفى مكانته في الدين، (كجلال الدين السيوطي والشبرخيتي والفيروزابادي) وغيرهم.

وإني الآن أذكر لك ما نقل عن المذاهب الأربعة في أنفسهم، من احترامهم لأهل التصوف، زيادة على ما قررناه، وتبرئة للأئمة مما نسبته إليهم، من أنهم ينكرون التصوف من أصله. فأقول: مما علم من سيرة الشافعي بالضرورة أنه كان يجالس الصوفية ويلازمهم ويحترمهم. فقيل له في ذلك فقال: استفدت من مشائخ الصوفية ما لم نستفده من غيرهم قولهم: الوقت سيف، إن لم تقطعه قطعك. وقولهم: اشغل نفسك بالخير، فإن لم تشغلها بالخير، شغلتك بضده. وقد كان يلازم (شيبان الراعي) وهو من خواص الصوفية رضي الله عنهم. وهكذا كان الإمام (أحمد) ذات يوم مع الإمام الشافعي فسأل أحمد شيبان الراعي رضي الله عنهما عن رجل نسي صلاة في خمس صلوات لم يدر عينها. فقال له شيبان: هذا رجل غفل عن الله حقه أن يؤدب. ثم سأله عن الزكاة، فأجابه بما يطول ذكره فصار أحمد من ذلك الوقت يحترم أهل التصوف، حتى كان يبعث (لأبي حمزة البغدادي الصوفي) إذا نزلت به نازلة مما هو أدق وأرق، فيقول له ما تقول في هذا ياصوفي؟

فيجيبه أبو حمزة مما علمه الله. وهكذا ذكر الشيخ (قطب الدين ابن أيمن) من أن الإمام أحمد كان يحث ولده على الإجتماع بالصوفية ويقول: إنهم بلغوا في الإخلاص مقاما لم نبلغه ذكره (صاحب النصرة)

وأما ما شاع عن مالك مما يتعلق بالتصوف هو قوله:(من تصوف (1) ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.)وأما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، أنه رفع إليه سؤال عما يفعله الصوفية في الحضرة وما يتظاهرون به هل صادقون في ذلك، أم هم كاذبون؟ فأجاب: إن لله رجالا يدخلون الجنة بدفوفهم ومزاميرهم. ثم قال الناقل: إنه كان في بلادنا طائفة يرقصون للذكر حتى يسقطوا على الأرض، ولم ينكر عليهم الإمام، ويزورونه فيكرمهم، ويسألونه فيجيبهم. ومن ذلك أنه قال مرة شيخهم للإمام ما تقول يا سيدي رضي الله عنكم في مسألة هي أن أناسا من أمة محمد ﷺ دخلوا الكنيسة واجتمعوا فيها حلقة وتدلولوا ذكر الشيطان بصوت عال من الصباح إلى المساء، افتنا فيهم اكفار هم، أم لا؟ فأجاب رضي الله عنه: لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، وهذا ليس بذنب. نقله في (تحفة أهل الفتوحات والأذواق) وكل هذا محافظة من الإمام من أن يقول في

---

(1) قوله من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق إلخ
نقله بهذا اللفظ ابن عجيبة في شرحه للمباحث الأصلية



دين الله برأيه وأن يتهم أحدا من أهل القبلة بالكفر ونحوه، فجزاهم الله خيرا، ما أوسعهم علما وأعظمهم حلما، فإن كان كذلك فكيف ينسب للإمام تلك المقالة السخيفة إذ زعموا انه قال: [ينبغي للموضع الذي تحلقوا فيه للذكر بكيفيتهم المعهودة، أن تحفر تربتها وتملأ برمل] ورسول الله ﷺ يقول في مثل ذلك: **مامن قوم اجتمعوا في مجلس يذكرون فيه الله، إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده.** ومثل تلك المقالة حقها أن لا تصدر من غافل، فضلا عن أن تنسب لأحد من الأيمة العظام، وهم لايقولون بحفر كنيسة إذا عادت للإسلام مسجدا، ويرون أن عرق الحي ولعابه ومخاطه من الأشياء الطاهرة، ولو كان خنزيرا. ألم يبلغ هؤلاء الجهلة أن مسجد النبي ﷺ ، لما أراد بناءه كانت بقعته فيها من مقابر المشركين، فنقل عظامها، ثم بنى مسجده في البقعة المباركة وهل ترى أنه أمر بحفرها ونقل ترابها؟ فكلا، إنه ماجاءنا عنه مثل ذلك وما سمعنا به، وإن كان كذلك فكيف يقول الإمام بما نسب إليه مع فقهه واطلاعه؟ وحاشا أن يصدر منه مثل ذلك، وقد نص صاحب (تحفة الفتاوي)، على أن تلك المقالة الشنيعة مدسوسة على الإمام أبي حنيفة، ثم قال: وكيف يقول ذلك وقد أتاه فقير صوفي من أهل زمانه فسأله عن مسجد مكث فيه جماعة من اليهود بنسائهم وصبيانهم ثلاثة أيام فهل يغسل، أم يهدم، أم كيف ذلك؟ فقال الإمام: فإن لم تكن فيه نجاسة معينة محققة فهو طاهر. أوليس في هذا بطلان مانسب إليه من أنه قال بحفر الأرض التي

يذكر عليها الفقراء. وقال الشيخ: (أبو الحسن بن المنصور الجنيد الحنفي): [ليست هذه المقالة الشنيعة منا، ولا من إمام فروعنا، إنما هي صدرت من بعض الروافض، لأنهم ينكرون وجود الصالحين] وكذلك (الشيخ عبد الحكيم) ردها ردا شنيعا وقال: [من أفتى بها هو من أهل الإعتزال] ثم قال: إن الذي زورها على الإمام هو ابن شرحان الفزاني دمره الله، حاشا الإمام من ذلك فإنه كان يحب الذكر وأهله ويحب التطريب والأنغام والأنشاد بالأصوات الحسان. انتهى ما نقل بعضه من (النصرة)

وليس العجب ممن نسب هاته المقالة للإمام، إنما العجب ممن رسمها في ذهنه، وقررها حجة لديه، **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**. وقال عليه الصلاة والسلام: **كم من حامل فقه ليس بفقيه**. انتهى ما يتعلق بالأئمة في شأن الذاكرين باختصار.

ومما يتعلق بالرقص الذي قلتم بتكفير من يستحله مطلقا، مستدلين بقول ابن وهبان حيث قال: [ومن يستحل الرقص قالوا بكفره، ولاسيما بالدف يلهو ويزمر] ثم قلتَ وفي (المعيار) ما محصله عن جماعة من الشيوخ: [أن من حبس زاوية أو غيرها على فقراء الوقت، فحبسه باطل، لأنه على معصية] وهكذا شأنك مهما وجدت سيرة شنيعة، أو حالة فضيعة، إلاّ وألصقتها بجنب الذاكرين تدليسا منك على القارىء، حتى لا يتبادر لفهمه من مذهب التصوف إلاّ مجرد ما ذكرته من الرقص واللهو والتزمير ونحو ذلك، فالله يجازيك عن مذهب التصوف بما أنت أهل له ثم



أرجع لحكم الرقص، وإن كان هو ليس من التصوف في شيء.

فأقول: كل ما أصابك من تحريم ما حلل الله إنما لعدم إطلاعك على الأصول، أو لعدم ورعك ولم تعلم أن ماحرم من الرقص، هو ما قيد باللهو، وكان على سبيل التخنث والتكسر الذي هو من طبع السفهاء، وتحريم هذا ونحوه لا يحتاج لاستدلال، فالطباع الكريمة تستقبحه ضرورة لأن الداعي فيه رعونة نفسانية ونزعة شيطانية، ثم إنك إن تناولت هذا الحكم، وأخذت تضمه على كل من رأيته أو سمعت به رقص لو قرر على الرقص، فينتج لك منه حكم ما تقر به عينك، ألا ترى أنه تقرر لديك أن مستحل الرقص قالوا بكفره، فكيف بك إذا بلغك أن الحبشة دخلوا مسجد النبي ﷺ يوم العيد، على هيئتهم المعروفة من الرقص ونحوه، وهو عليه الصلاة والسلام ناظر إليهم، وعائشة رضي الله عنها تتطلع عليهم من خلفه حتى فرغوا من أعمالهم، ولم ينكر عليهم عليه الصلاة والسلام. فبالله عليك لأي شيء تفهمه من ذلك، وأنت تقول: الرقص حرام مطلقا؟ وهل تراه عليه الصلاة والسلام يقرر على الحرام؟ وهلا تجد فرقا بين رقص السفهاء المتخنثين، وبين رقص الحبشة؟ وإذا لم يبلغك هذا أو بلغك ولم تستنتج منه حكم الإباحة لقصور الإدراك، فأي شي ء تقوله في رقص سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إن صح ذلك حسبما جاء في بعض الأحاديث، لما قال عليه الصلاة والسلام: **أشبهت خَلْقي وخُلُقي** فقام يرقص بحضرته عليه الصلاة والسلام، ولم ينكر عليه ولم ينهه. وهلا يفيدك هذا إباحة في الحكم؟ وهل

يصح التطبيق بين رقص سيدنا جعفر، وبين الرقص المشار إليه في قصيدة ابن وهبان؟ ألم تعلم أن التخصيص يقيد الإطلاق؟ وهل ترى أن الصوفية يقولون بتحليل الرقص مطلقا كما قلت أنت بتحريمه مطلقا؟ كلا، وإنما هم أوسع منك نظرا، لايقولون في دين الله بغير علم، ولايتناولون النصوص بغير فهم، ولكن الأغبياء تظن أن من جمع شيئا من النصوص، وأضاف إليها نصيبا من قلة الحياء يعد عالما. أولم تعلم يا هذا أن محرم الحلال كمستحل الحرام، كما هو في الحديث، وقد فضحك الله بما جمعته، فكفاك مقتا أن لا تميز الحلال من الحرام. وهل تظن أنّ العلم عبارة عمن يحمله **كمثل الحمار يحمل أسفارا**؟ كلا إنما العلم هو عبارة عن نور يحدث في الملكة، فيبصر به المعقولات، كما يبصر بالبصر المحسوسات، لأن العلم هو صفة إدراك، لا مجمع أوراق، قال تعالى لنبيه: **ما كنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي بهِ من نشاء من عبادنا**، وعلى هذا يتعين على العالم أن لا يحكم على الرقص بشيء قبل أن يعلم ما هو الداعي فيه، لئلا يحرم ما أحل الله، ولهذا قال الشيخ مصطفى بن إسماعيل حبش (وإن كان ظاهر الوهابية تحريم الرقص مطلقا فالمعتمد ما ذكره (إبن كمال باشا) ونقله (الصفوة) ونصه:

**مافي التواجد إن حققت من حرج ☆ ولا التمايل إن أخلصت من بأس**
**فقمت تسعى على رجل وحق لمن ☆ دعاه مولاه أن يسعى على الرأس**

ثم أقول: إن ما قررناه في هاته النازلة ليس هو مجرد انتصار لجانب الرقص، كلا. وإنما هو إظهار للحكم، وانتصار للأمة



المحمدية التي قضيت بالكفر على الجل منها، لأن الغالب فيها يعتقد جواز الإهتزاز، وأما المنتسبون يعتقدون مطلوبيته لقوله عليه الصلاة والسلام: **ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب**، نقله صاحب (النصرة). ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام: **سيروا فقد سبق المفردون المهتزون بذكر الله**. ذكره في (الجامع الصغير). وما يدريك أن يكون رقص الصوفية بالذكر، هو ذلك الإهتزاز المخبر عنه في الحديث، لأنه صريح في حركة الذاكر، ولهذه المناسبة رأى بعض الصوفية الإهتزاز عند ذكر الله لشدة شغفهم بالله، **والذين ءامنوا أشد حبا لله**. وبالطبع كل حبيب يرتعد عند ذكر حبيبه وإني على علم من أن الحجة لا تقوم عندك بما ذكرناه، لأنك لم تذق طعم المحبة ولو دبّت في مفاصلك لاشتهيت أن تسمع ذكر الله ولو من كافر. ثم تقول كما قال سلطان العاشقين:

**ولي ذكرها يحلو على كل صيغة ☆ وإن مزجوه عذلي بخصام**

وحينئذ تعرف معنى الوجل، وتنظر هل تملك نفسك أم لا. ألم يبلغك في كتاب الله خبر النسوة اللائي قطعن أيديهن لمّا خرج عليهن يوسف عليه السلام، **وقلن حاشا لله ما هذا بشرا**، فإن كان مثل هذا يقع بمشاهدة جمال مخلوق، فلم لا يقع ما يقرب منه عند مشاهدة جمال خالقه، إذا ظهر بسلطان كبريائه

ثم إني رأيتك لا تبالي بتضليل المؤمن، ولا بتفسيقه ولا بتبديعه، بل ولا بتكفيره، فكل ذلك أهون عندك من شربة ماء، ولم تدر ماحرمة المؤمن عند الله، ولا عند رسول الله. ألم تعلم أنك

إذا قلت بكفر مؤمن، فقد حكمت بإباحة ماله ودمه، وبخلوده في النار، وهل ترى هذا مما يرضي الله ورسوله؟ أو ليس في علمك أن الخضر عليه السلام، استهون قتل النفس على تكفير مؤمن؟ قال تعالى فيما أخبر عنه: **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا.** ألم تعلم أن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة؟ وان هدمها عنده أهون من تكفير المؤمن المعلن بكلمة الإخلاص، المردد لها في سائر الأنفاس؟ وإني أحذرك الله ان تتفيه في أهل لا إله إلا الله، ولا تقل فيهم برأيك، فإنهم أقوام خلقهم الله لذكره، واختارهم في سابق علمه، فعلى الأقل أن تراقبهم لله وتحترمهم في الله والإضافة تغنيك والله يلهمك ويهديك، انتهى ما يتعلق بالرقص.

وأما مايتعلق بالسماع، ونشد الأشعار التي تستعمل عند أكثر الصوفية، فأقول: إن القول فيها بغير علم أدهى مما قبله، لأن الصحابة رضوان الله عليهم، تناشدوا الأشعار بحضرة النبي ﷺ وفي قصة كعب بن زهير كفاية لمن تدبرها، كيف استمع منه النبي ﷺ قصيدته المعروفة (ببنات سعاد) مع مافيها من التغزلات، وكيف جزاه بالعفو والبردة، زيادة له عن تقريره له في إنشاد الشعر بحضرته، قال في (العوارف): ان رجلا دخل على النبي ﷺ فوجد عنده قوما يقرءون القرآن، وقوما ينشدون الشعر، فقال يارسول الله قرآن وشعر! فقال ﷺ **من هذا مرة ومن هذا مرة،** وقد أطنب صاحب (الإحياء) في الرد على من يقول بكراهة السماع، أو من يقول بتحريمه مطلقا، لما تعارضه من النصوص



التي لا تحتمل التأويل، ومن ذلك ما رواه العلقمي عن ابن ماجه عن رسول الله ﷺ لما رجع للمدينة من بعض مغازيه، جاءته جارية فقالت يا رسول الله: **إني نذرت إن ردك الله سالما ان نضرب بين يديك بالدف ونغني. فقال رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فأوفي بنذرك.** وقوله أيضا: **احدوا يا بني أرفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن في دينكم فسحة.**

وبالجملة فإني أقول في الشعر، كما قال عليه الصلاة والسلام: **هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح.** فما كان متعلقا بالفواحش والتفاحش فهو محرم، وعليه تحمل سائر الأقوال التي جاءت بتحريمه، فيكون القائل والسامع شريكين، إن كان القصد متحدا. وأما ما كان موضوعا للترغيب والترهيب، والتشوق للأحوال السنية، والترشيح بالمعارف الإلهية، كالمشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام: **اصدق كلمة قالها الشاعر الا كل شيء ما خلا الله باطل.** فيكون مدخول قوله عليه السلام: **إن من الشعر لحكمة.** ولا يخفى أن استماع الحكمة مندوب، إن لم نقل فيه بالوجوب، وإذا فهمت هذا، فلا تقس ما اعتاده القوم في مجالسهم من نشد الأشعار التي تلائم من الحكمة أعلاها، وتحوى من المعارف أقصاها، تعليما للمريد كيف يسلك سبل ربه ذللا، على ما اعتاده السفهاء من مدح القدود، والخدود والنهود، إغراء للسامع على ارتكاب الفسوق والفجور، **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مومنين**، ثم استلفتك للكلام على الذكر من أصله؛ لأنه أعظم قاعدة في الدين، وإني أراك قد غفلت عليه، حيث أنك

شنعت على المجتمعين من أجله.

فأقول: بالله عليك إلا ما أخبرتني ما هو نظرك في الذكر، هل هو مشروع أم لا؟ وفي ظني أنك تعترف بمشروعيته بمقتضى قوله تعالى: **اذكروني أذكركم** وغير هذا مما لا يتأتى حصره، وأنا أقول زيادة على قولك مشروعا: ما شرعت الشرائع، واقيمت المناسك، إلا لإقامة ذكر الله. قال في الطواف، عليه الصلاة والسلام: **إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمارات، لإقامة ذكر الله.** وقال تعالى في الحج: **فاذكروا الله عند المشعر الحرام،** فجعل الوقوف عند المشعر للذكر، لا للمشعر بالخصوص. وجعل القيام بمنى لذكر الله لا لها، فقال: **واذكروا الله في أيام معدودات،** وقال في الصلاة: **وأقم الصلاة لذكري،** وتجد غير هذا لو تتبعت الكتاب.

وبالجملة، إن العبادات تعتبر بذكر الله فيما بينها قوة وضعفا، ولهذا لما سئل عليه الصلاة والسلام أي مجاهد اعظم اجرا؟ قال: **اكثرهم ذكرا لله.** فقيل أي الصائمين أعظم أجرا؟ فقال: **اكثرهم لله ذكرا.** ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقات، كل ذلك يقول اكثرهم لله ذكرا. فقال ابو بكر لعمر رضي الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير، فقال ﷺ أجل. رواه الإمام أحمد، ونقله ابن القيم الجوزية. ومهما صح أنه مشروع كما تقدم، فهل قيد تعالى مشروعيته بكونه سرا أو جهرا؟ فإن قلت: جاء في الدين ما يقوى جانب الإسرار به، فأقول وكذلك جاء ما يقوى جانب الجهر به ليكون الإنسان ذاكرا في جميع الأحوال، ومن ذلك



التكبير يوم العيد، والأذان والإقامة، والجهر بالصلاة الليلية. ومن الترغيب في الجهر بالذكر ما اخرجه ابو شجاع الديلمي في (مسند الفردوس) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **من قال لاإله إلا الله ومد بها صوته، أسكنه الله دار الجلال، ورزقه النظر إلى وجهه.** ومثله ما اخرجه البيهقي عن يزيد ابن ابي أسلم قال ابن الأورع: **انطلقت مع رسول الله ﷺ فمر بي برجل في المسجد يرفع صوته بالذكر. فقلت يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائيا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا، ولكنه اواه.** وفي (بستان القراء) أن النبي ﷺ كان يجهر مع اصحابه بالأذكار بعد الصلاة.

وبالجملة إن الجهر بالذكر ليس بأضعف دليل من الأسرار به، ويزيد عليه الجهر بانتفاع السامع به ويكفينا في فضيلة الجهر، أن اسلام الجن كان من اجله، قال تعالى فيما انزله على عبده حكاية عن الجن، وما هو سبب اسلامه: **قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد، فآمنا به،** والذي يحقق الفضيلة، ويزيدنا في العلم تفصيلا، هو قوله عليه الصلاة والسلام: **السر أفضل من العلانية، والعلانية أفضل لمن أراد الإقتداء به.** وإني أخشى على من إذا سمع الجهر بالذكر تشمئز نفسه، أن يكون داخلا في جملة من وصفهم الله تعالى بقوله: **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة.** ولا يخفى أن الإشمئزاز المشار إليه لا يتصور إلا مع الجهر بالذكر، وقد تقدم ما في معنى هذا

ثم أقول: إنه إذا ثبت كون الجهر بالذكر من أفعال البر، فلا مانع حينئذ من جواز الإجتماع عليه، لقوله تعالى: **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان.** وهذا بقطع النظر عما ورد من الترغيب في حضور مجالس الذكر حسبما تقدم في غير ما حديث، وعلى ما تقرر يتعين عليك الإعتراف بجواز الذكر جماعة، وحينئذ فلم يبق لك إلاّ أن تبين لنا كيفية الإجتماع على ذكر الله لأن الهيئة التي بلغتك عن السلف من أنهم يجتمعون في بيت أحدهم على قراءة القرآن، والصلاة على النبي، والدعاء لأنفسهم وللمسلمين، لم تقم عندك الحجة بها، بل شددت عليهم النكير، وكان الحق أن تجعلها على الأقل من البدع المستحسنة، والهيئة التي أحدثتها الصوفية قامت قيامتك من أجلها، فبذلت فيهم من شنيع القول، كل ما في وسعك، وأجلبت عليهم بخيلك ورجلك، ولم يكفك ذلك حتى ألزمت ولاة الأمر بطردهم من المساجد وغيرها، فبقي الأمر حينئذ موقوفا عليك في بيان كيفية الإجتماع لأجل الذكر، وتعيين المكان، وإننا استرضيناك بما في وسعنا، وفي ظني أنك لا ترضى، إلاّ إذا لم تر لله ذكرا، **والله متم نوره ولو كره الكافرون.**

ثم انك بعدما استفرغت جهدك فيما هو المقصود من جمع الرسالة، أردت أن تروح قلبك بما هو خارج عن أحوال الصوفية، فذكرت جملة من المنكرات نقلا عن (صاحب المعيار) فقلت: [ومنها أي من البدع المنكرة المعتادة في الشوارع والمحلات خروج النساء بأنواع الزينة البادية وأسباب التجمل الظاهرة، على



حال اختيال في المشي، واستعمال الطيب، واجتماعهن في المقابر والزوايا والجبانات، والمواضع التي يتخذ منها مواضع للنزهة، على من يمر بهن من الشبان، والرجال، وأقبح من هذا وأشنع، فتح حانات الخمر، وديار المومسات في الشوارع علانية، واسترسال السكارى في مخالطة الناس] إلى أن قلت: قال مؤلفه: [ويكثر ذلك مع التيبير في شهر رمضان المعظم بتونس] فظهر لي أن ذكرك لهذه المنكرات كأنه على سبيل الحكاية، حيث أنك لم تعضد صاحب المعيار ولو بحديث في ردع المنتهك لحرمات الله، ولا جئت بشيء فيه تنبيه لولاة الأمور على أفعال السفهاء المبطلين، كما فعلت في تنبيههم على الصوفية وإغرائك لهم على طردهم، وإخراجهم من المساجد وغيرها، ولو أغريتهم على تحطيم ما شاع من المنكرات؛ كالتظاهر بالزنا، وشرب الخمر ونحوهما، واقتصرت في رسالتك على مثل هاته الجملة وبذلت جهدك كما بذلته فيما تقدم، لأستوجبت الثناء الجميل من الإسلام عموما، ومن الأمة التونسية خصوصا، وَلَوَجَدْتَ قلوب أعدائك محدقة بك، فضلا عن قلوب أصدقائك، ولكنك سعيت فيما لا طائل تحته، إلاّ مجرد المقت المترتب على من آذى الله تعالى في أوليائه، حسبما جاء في الحديث القدسي: **من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب.** وإني رأيتك لا تدري ما تقول فيما جمعته، وإنما تخبط خبطاً عشواء، ومثلك كحاطب الليل، فقد يجمع في حطبه ما يؤذيه أو ما لا فائدة له به، ومن ذلك قولك: [ومنها أي من البدع اتخاذ الثياب الرقاق، وقد كانوا يكرهون الثياب الرقاق، ويقولون الثياب

الرقاق لباس الفساق، من رق ثوبه رق دينه. ومنها أن يتخذ للباسه ثوب شهرة، فقد ورد في الحديث: **من لبس ثوب شهرة، كساه الله يوم القيامة ثوب ذل وصغار، ثم أشعله عليه نارا.**

فأقول بالله عليك فأي فائدة تترتب عن نقلك هاته الجملة، وأي نفع يلحق الإسلام والمسلمين لو استبدلوا الرفاهية بالتقشف، مالم يرتكبوا حراما، إلا مجرد كساد التجارة، وتعطيل الصناعة، وأي مناسبة بين ما اكنته القلوب، وبين رقة أو خشونة الثوب، حتى يكون رقته دليلا على رقة الدين؟ وإن كان هكذا فقد فاز البدوي بكل خير، لأن الحضري كيفما كان إلا والبدوي ثوبه اخشن، وحتى انك لو ألزمت أهل تونس بخشونة الثوب، لابد وأن يقول قائلهم: **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق.** فبالله عليك فبأي قول تجاوبه، وبأي لسان تخاطبه؟ والحق يقول: **قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة.** وأما كونهم كانوا يكرهون الثياب الرقاق، لاحتمال أنها لم تكن من عادتهم، والذي بلغنا عنهم أنهم كانوا أحرص الناس على تأييد القلوب، من حرصك على الثوب، وما بلغنا أن النبي ﷺ كلف قبيلة برقة الثياب أو بخشونته، وإنما كان يقول: **إن الله لاينظر لصوركم ولا لأعمالكم، ولكن ينظر لما في قلوبكم.** وهذا ونحوه يقضي بالحرج، والله يقول: **وما جعل عليكم في الدين من حرج.** وأما ما ذكرتموه من أنه عليه الصلاة والسلام قال: **من لبس ثوب شهرة كساه الله يوم القيامة ثوب ذل وصغار، ثم أشعله عليه نارا.**



فأقول: ولعلك تعني بثوب الشهرة، ما ذكرته من رقيق الثياب، وإني أقول: ليس كذلك، فإن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ نهى عن الشهرتين من الصوف والخز، وورد عنه أيضا النهي عن اللبستين المتناهية في قبحها والمتناهية في حسنها وبالجملة إن خيار الأمور أوسطها، وقد نهى تعالى عن الغلو في الدين فقال: **قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقول على الله إلا الحق.** ثم إنك قلت: ومنها أي من البدع إتخاذ طعام معلوم في ميلاد النبي، وفي بعض المواسم الشرعية. وحتى لو قلنا أنها بدعة، فأي ضرر يلحقنا من إتخاذ طعام معين، إن لم نعتقده بالوجوب، ولم يزاحم لنا طعاما مسنونا كأن يكون كلفنا الشارع به، فاستبدلناه بغيره، وفي ظني أن الشارع لم يكلفنا بطعام معلوم إلا بالأضحية، بدون ما عين لنا كيفية الطبخ، فبقي الأمر موكولا لما جرت به العادة والعرف، حسب الأماكن بدون حرج، فمن شاء اقتصر على طعام ومن شاء زاد. ثم قلت: المواسم الشرعية يوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عاشوراء. وهو كذلك ثم قلت: وما عداها مواسم بدعة. ولا شك أنك تعني بذلك المولد النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ولم ندر من أي قسم جعلته أمن أقسام البدعة المنكرة، كما هي عادتك؟ وإني أتمنى على الله أن تعتقد الإحتفال به من البدع المستحسنة، وما أظن.

ثم أقول: إن صاحب المدخل الذي تعتمده في النقل، غالبا لم ينكر الإحتفال بيوم المولد، إنما أنكر ماابتدع فيه من المنكرات التي لا توافق الشرع، حتى أنه استدل على مطلوبية احترام ذلك

اليوم، باحترام الشارع له قال:[إن النبي ﷺ، أشار لوظيفة شهر المولد بقوله للذي سأله عن صوم يوم الإثنين، فقال له ذلك يوم ولدت فتشريف هذا اليوم، متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه، فينبغي أن نحترمه فوق الإحترام] إهـ

ثم انك ذكرت من البدع المحرمة [عيد الذبيلة قرية من قرى سوف] فأقول: إن مثل هذا الموسم مما هو ليس بشرعي، يتعين على العالم التنبيه عليه، وعدم الإعتناء به، ليقتدي به غيره من العوام، وهذا حال أهل التصوف، تجدهم لايعتنون بما زاد على المواسم المقررة، إلا بالميلاد النبوي لمكانة صاحبه في قلوبهم، واصطلاح العالم الإسلامي عليه، فعلموا من ذلك أن الإحتفال به مما يرضي الله والرسول، وأنه ليس بضلالة لقوله عليه الصلاة والسلام: **أمتي لايجتمعون على ضلالة.** وقد اجتمعت على تعظيم ذلك اليوم.

ثم قلت نقلا عن صاحب المعيار :[ومنها أي من البدع كراهة الجهال، ومن لايعبؤ به عقد النكاح في شهر المحرم، والدخول فيه، بل ينبغي أن يتيمن بالعقد، والدخول فيه، تمسكا بما عظم الله والرسول من حرمته، وردعا للجهال عن جهالاتهم .]

فأقول: إن هاته الجملة لا تستفزنا حيث كانت متعلقة بالجهال، ومن لا يعبؤ به، وهذا القسم يكتفى منه أن يأتي بالعقد على وجه شرعي، ومن أين له اكتساب الفضائل، و التخلي من جميع الرذائل، ثم انك قلت: ومنها أي من البدع اختصاص الأغنياء بالدعوة في الأعراس دون الفقراء.



فأقول: إن هاته الخصلة غريزية في البشر، لاتصلح أن تعد من البدع، لأن النبي ﷺ قررها بقوله: **شر الطعام طعام الوليمة، أن يمنعها من يأتها ويدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله.** ثم إنك قلت: [ومنها أي من البدع، ما يستخفه بعض الناس من أذى البهائم، و العنف على الدواب، كانتقالها بالأحمال التي لا تستقل بها، الخ.]

فأقول: إن هاته الجملة أبعد من ان تذكر من جملة البدع، لأنها موكلة لرأفة البشر، وقساوة قلبه، فقد تجد المتدين غليظ القلب، يحمل على البشر فضلا عن الدواب، وربما تجد غيره يترحم بالضعيف، والرحماء يرحمهم الله، **فطرة الله التي فطر الناس عليها،** إلا أن الرحمة تكتسب من الرحماء، والعلم من العلماء، لقوله عليه الصلاة والسلام: **إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم،** ثم إنك قلت: ومنها أي من البدع سابع الميت، والطعام الذي يصنع القراءة عليه عند تمام سابعه، وأنه ممنوع لايجوز أكله.

فأقول: ولابد أن نستفسرك عن وجه الحرمة في طعام الأسبوع الذي يجعل للقراءة، وإن كنت أنت لم تستفسر صاحب (المعيار) عن وجه المنع، إنما تأخذ الكلام الذي يقضي على الأمة بالتقبيح، كأنه تنزيل، لأنك قلت بحرمته، ومنعت الفقير من أكله، فلا بد أن يقول لك الفقير: قال الله لنبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه، إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير، فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به.** ثم إنك قلت:[ومنه طعام الفروقات، وتمام

الأربعين، وتمام السنة عند أهل تونس، ومن إستن بسنتهم المنكرة] وحتى لو قلنا أن أهل تونس عملوا بإشارتك، وكفوا جميعا عن هاته الفضيلة التي سميتها بالسنة المنكرة، فأي شيء ينتج لك إلا حرمان الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون من طعام الأغنياء، الذين ربما فيهم من لم يؤكل طعامه لولا نازلة الموت، ألم تعلم أن سبب مشروعية الزكاة هو الأخذ من الأغنياء، لتتوسع الفقراء؟ ولكنها لاتعمى الأبصار، فقد يسيء المتهور، وهو يريد الإحسان، وهذا بقطع النظر عما رواه معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ أنه قال: **ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق لله بصدقة تطوع، أن يجعلها على والديه إن كانا مسلمين.** ثم إنك قلت نقلا عن صاحب المعيار: [ومنها- أي من البدع - الجهر بالذكر أمام الجنازة، على صوت واحد، والمطلوب من الأعمال في حمل الجنائز إنما هو الصمت، والتفكر، والإعتبار، وتبديل هذه الوظيفة بغيرها تشريع.] قلت فيما ذكرته من مطلوبية الصمت والإعتبار، هو الأفضل والأولى، ومثل هذا لا يتصور إلا من الخصوص، وأما العموم فالذكر لهم أولى، لأنهم ربما إن تركوه اشتغلوا بما هو أشنع، كالكلام فيما لايعني، ولهذا ألزم الصوفية العموم بذكر لاإله إلا الله في الجنازة، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: **أكثروا في الجنازة قول لاإله إلا الله.** ولم يقيدها بسر ولا بجهر، ومثله: **زودوا موتاكم قول لاإله إلا الله.** وعلى هذين الحديثين فلا مستنكر حينئذ.

وأما قولكم: [ استبدال وظيفة الصمت بغيرها تشريع ] فغاية ما فيه أن يكون جريا على خلاف الأولى، ثم إنك قلت: [ "ومنها



قراءة القرآن بالألحان المطربة فهو أمر منكر، يجب المنع منه، وتنزيه القرآن عنه. بل الألحان نفسها مما ينكر في الشعر، وينبغي التنزه عن الحضور عنها وسماعها، فكيف بآيات الله تعالى، ومقدس كلامه] وبسبب ذكرك هذه الجملة لزمني أن نقول لك: ما أجسرك على القول في دين الله بغير علم! وما اسرعك لأخذ النصوص بغير فهم! وحتى لو سلمنا أن الله سبحانه وتعالى ابتلاك بالإقتصار على قول أحد المجتهدين، كان من حقك أن لا تجعله حاكما على الشرع، إنما تجعله حاكما على نفسك أو على من استفتاك في مذهبك، وحتى إذا قلت، تقول على التقدير هو منكر، فيما ذهب إليه فلان، لا كونه منكرا في الشرع، وهكذا ينبغي لك أن تقول في كل أمر مختلف فيه، أوليس قد قرر العلماء أن من شروط الإنكار معرفة مذهب المنكر عليه؟ لئلا ينكر معروفا تقرر عند غيره، وأنت تعلم أن الشرع أوسع من أن ينطوي تحت ما ذهب إليه أحد المذاهب، ولكن أراك تقول كأنك أحطت بالمنقول والمعقول، وما مثلك إلا كمن خرج للهيجاء بغير سلاح، فتكون كلما عرضك نص، كأنما خرج فيك لص، ألا ترى كيف يكون حالك إذا وجدت في شرع الله خلاف ما قررته من إنكارك للأصوات المطربة في كتاب الله وغيره فلا مندوحة لك إلا أن تقول: (إن هذا إلا اساطير الأولين) وها أنا أذكر لك بعض ما عثرت عليه، فإن شئت تركته، وإن شئت عملت به.

فأقول: ذكر الجلال السيوطي في كتابه، من الآثار من استحسان المصطفى ﷺ التغني بالقرآن، جملة كافية في الإقتصار

عليها في هذا الباب؛ منها ما رواه أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: **لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن.** وفي رواية أخرى: **لكل شيء حلية، وحلية القرآن حسن الصوت.** وقال أيضا: **زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا.** وفي رواية أخرى: **زينوا أصواتكم بالقرآن.** وقال أيضا: **حسن الصوت زينة القرآن.** وقال أيضا: **حسنوا أصواتكم بالقرآن.** ولعلك تقول أن المراد بالتحسين، إعطاؤه ما يستحق من أداء التلاوة، كالترتيل ونحوه، فأقول إن ما جاء في هذا الباب صريح في مدح التغني بالقرآن، وإن لم يكن عندك صريحا، فإليك ما أصرح منه، وهو ما نقله السيوطي عن (ابن مسعود رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **ليس منا من لم يتغن بالقرآن.** وقوله أيضا: **ما أذن الله لشيء مثل إذنه لنبيء يتغنى بالقرآن يجهر به.** وعن أبي هريرة: **ما اذن الله لشيء ما اذن للنبي حسن الصوت، يتغنى بالقرآن يجهر به.** قال العلقمي: معناه عن الشافعي وأصحابه، وأكثر العلماء، تحسين الصوت به، والذي اوضح من هذا قوله عليه الصلاة والسلام: **اقرؤا القرآن بألحان العرب.** قال العلقمي: المراد به التطريب، وتحسين القراءة، والذي يكشف النقاب، ويجلي السحاب، ما روي عن (أبي موسى الأشعري) رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سمع قراءته، فقال: **أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود. فقال ابو موسى: لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيرا.** قال شريحه: اي لحسنت لك قراءته تحسينا. اهـ من (الجامع الصغير)



وإذا علمت هذا، فهلا يكون إنكارك حسن الصوت في تلاوة كتاب الله مطلقا، فيه ما يتعجب منه بالنظر، لما قدم من النصوص الصريحة، والذي أغرب من هذا، إنكارك حسن الصوت كيفما كان، في الشعر أو غيره، ولكن هذا ينبيء منك عن غلظة الطبع، ويدل على أن في الأنعام ما هو أرق طبعا من بعض الأنام، أوليس الصوت الحسن تتأثر منه الإبل، وتحن من أجله، والأطيار تتأنس وتسكن إليه؟ ألم يبلغك أن من آيات داود عليه السلام حسن صوته بالزبور؟ أليس الصوت الحسن من النعم التي أنعم الله بها على عباده؟ ألم يبلغك أنهم قالوا في قوله تعالى: **يزيد في الخلق ما يشاء.** المراد به الصوت الحسن؟ ويؤيده ما جاء في بعض القرآت (يزيد في الحلق ما يشاء) بالحاء المهملة. وإذا كان لا يستعمل في تلاوة كتاب الله، وأن استماعه مما ينكر في شرع الله، فما هو وجه التخصيص به، ويلزم عليه أن يكون من نقم الله، لامن نعمه التي أنعم الله بها على عباده، إلاّ أن يصرفها فيما لا يرضي الله ورسوله، والحاصل أنك حكمت في هذه الجملة بخلاف ما حكم الله به، فأنكرت حسن الصوت، وشددت عليه النكير، وحتى لو قلنا أن المذهب لم يقل بجواز التغني بكتاب الله فأقول: إن دليله ليس بأقوى، من دليل من أجاز التغني بكتاب الله وتلاوة أسمائه، أو أقول بندبه حسبما دلت عليه الأحاديث السالفة بل هو أقوى فيما يظهر، وزيادة أن الله تعالى لم ينكر الصوت الحسن الذي شددت أنت عليه النكير، إنما أنكر صوت الحمير، فاخترت الزفير على التحبير، واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ثم قلت: [ومنها أي من البدع إيقاد الشمع وزيادة وقود القناديل ليلة مولد النبي ﷺ ]

فأقول: إن المواسم لها أحكام بالخصوص، لابد فيها من إظهار ما يدل على السرور، كالتجمل وإظهار الزينة والفرح، ويكون زيادة إيقاد القناديل ليلة المولد وغيره من المواسم من ذلك القبيل، والذي يدلك على أن للمواسم رخصا، ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: **أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفان وتغنيان، والنبي ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف ﷺ عن وجهه الشريف، وقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى**، ومثله ما روي عنها رضي الله عنها من طريق آخر أنها قالت: دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمزمور الشيطان في بيت النبي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيد، وهذا عيدنا.** من (البخاري) ثم إنك قلت في إيقاد الشمع: [ ووقودها في النهار لحضور ذلك الموكب المبتدع من باب أحرى وأولى، كما في المدخل ].

فأقول: إن وقودها نهارا فهو غير لائق، وحقها أن تسمى بدعة، لأنها لا تظهر فائدتها في النهار كظهورها ليلا، ولأنها لم تسبق بما يقرب منها عند السلف، وأما كون الموكب مبتدعا، فإني أتمنى على الله أن يأجر من ابتدعه ويكون داخلا تحت قوله



عليه الصلاة والسلام: **من سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها**. لما فيه من إظهار تعلق المسلمين وتعلقهم بنبيهم ﷺ وكيفما كان اجتماع الأمة إلا وهو رحمة وبه أمرت السنة وعلى هذا يكون المبتدع من سعى في نقيض الإجتماع، ثم قلت: [ ومن البدع استعمال مبخرة الفضة في درس الحديث الشريف فإن ذلك محرم، وإن استعمالها في عقد النكاح لا يجوز، فإذا وقع ذلك فإنه يحرم الحضور في مجلسه فكيف يتجرأ بتلاوة حديث النبي ﷺ في مجلس فيه شيء محرم، فإنا لله وإنا إليه راجعون! ]

قلت: فإني لا أدري ما هو وجه تخصيصك استعمال مبخرة الفضة في درس الحديث، وعقد النكاح، والحالة أن اتخاذ الأواني من أحد النقدين حرام مطلقا. ثم قلت: [ كيف يتجرأ على تلاوة الحديث الشريف في مجلس فيه شيء محرم؟ ] بمعنى لا يجوز تلاوة الحديث فيه وأنا أقول: بل تجب أن يتلى منها ما فيه دلالة على منع اتخاذ الأواني من أحد النقدين حتى يكون المتخذ لها على بصيرة ولما كان دأبك وديدنك الإنتقاد، والتتبع والتشنيع على كل اختيار شاعت نسبته للصوفية جلت وصلت واستقصيت وملت، ثم رجعت لمقصودك الأهم، واستفرغت جهدك في القلم في شيء لا مساس له بالدين، وجعلته حجة على المنتسبين وأن نسبه يدخلون في حيز المرائين قلت: [ ومن البدع المنكرة استعمال السبحة الرومانية الأصل في اليد والعنق، ليظهر مستعملها للناس أنه من الذاكرين العابدين وكأنه لم يعلم أنه من المرائين الموعودين بالويل والعذاب، لأن الرياء من الكبائر ]

فأقول: إنه يستفاد مما تضمنته هذه الجملة، أنكم حكمتم على كل من اتخذ سبحة في يده، أو جعلها في عنقه، أنه من أهل الكبائر، موعود بالويل والعذاب، وهذا على الأقل، وإلا على ما يقتضيه ما سبق من قولك، أنه يكون رومانيا أي نصرانيا، حيث تشبه بالرومان بوضعه السبحة في عنقه، نسأل الله السلامة. وفي ظني أنه لو ارتكب من المعاصي اقصاها، لما استحق هذا الحكم، فيا سبحان الله أوليس العلماء هم الرحماء؟ فكيف بك حتى حكمت على جل الأمة المحمدية بالخسران والتضليل، وما يدريك أن يكون متخذ السبحة مرائيا، والحال أن الغيب لله فيما انطوت عليه السرائر، وحتى لو قلنا أنها لا تخلو طبقات المتخذين للتسابيح من وجود المرائين، فكذلك لا تخلو من المخلصين، وعليه فما وجه حكمنا على عموم الأفراد، وهل استوعبت ضمائر الجميع؟ وما هي نية كل فرد باتخاذه السبحة؟ ولربما تكون له نية صالحة في اتخاذها، ألم تعلم أن النية يقال لها الأكسير المعنوي، يقلب الأعيان بسرعة، ولربما لو سألت صاحبها عن نية استعماله لها في عنقه، يقول لك وجدتها تحجزني عن مخالطة السفهاء، ودخول أماكن التهم، فجعلتها قيدا لنفسي، لأنها تقول لي بلسان حالها اتق الله فما مثلك ممن يتجاهر بالمعاصي، وهل هذه إلا نية صالحة، وهكذا لو سألت من يجعلها في يده، فلربما يقول لك: اتخذتها لتذكرني الله كلما غفلت عن ذكره، لأنه بلغني عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مرفوعا، أنه قال: **نعم المذكر السبحة**



نقله الجلال السيوطي في كتابه المسمى (المنحة في اتخاذ السبحة) فبالله عليك! فبأي شيء تجاوبه؟ وهل هذه إلا نية صالحة ونصوص صريحة، وفي ظني أن صاحبها لا يستحق ما توعدته به من شدة العذاب، نعم؛ ثم أناس لا خبرة لهم بالنية في اتخاذها، إنما أخذت في أيديهم على سبيل الإتفاق، وهذا في ظني لا يستحق الوعيد الذي رتبته على متخذ السبحة، ومثله أيضا من اتخذها ليتشبه بالصالحين، قاصدا اللحوق بهم، وهذه أيضا نية صالحة، وثم افراد قلائل ممن ذكرت في نعت المنافقين من أنهم **يراؤون الناس، ولا يذكرون الله إلا قليلا.**

فأقول: إن مثل هاته الآية، هو الذي ألزم الصوفية بالإستغراق في الذكر، والتجاهر به، والإكثار منه ليخرجوا من حيز القلة إلى فضاء الكثرة، فينفصلون تمام الإنفصال عما هو نعت المنافقين من قلة الذكر، والغاية في حد الكثرة مجهولة لولا أن بينها عليه الصلاة والسلام بقوله: **اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم تراؤون** وقال ايضا **اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون.** نقلهما في (الجامع الصغير) فلما بلغوا هاته الغاية وقيل فيهم بالرياء حسبما قلت، وبالجنون حسبما قاله غير واحد، فاستراحت النفوس حينئذ، وعلموا أنهم خرجوا من حيز القلة واتصفوا بالكثرة، فهم الذاكرون على الحقيقة، ويشهدك الله هل استكثرت من ذكر الله حتى قيل فيك ما قيل فيهم؟ أم لم تزل تكابد مذهب القلة والله يلهمنا وإياك إلى الإكثار من ذكره، وحسن الظن بأوليائه.

ثم أقول: إن جميع ما ذكرته في الرياء، ان الصوفية احذر مما حذرت منه، وأخوف مما خوفت منه، لولا أن أظهرهم الله سبحانه وتعالى بأفعال البر، ليقتدى بهم، ألم يبلغك قوله عليه الصلاة والسلام: **السر أفضل من العلانية، والعلانية أفضل لمن اراد الإقتداء به.** ذكره السيوطي في (جامعه)

ثم انك بعدما أنكرت استعمال السبحة تمام الإنكار، وذكرت أنها بدعة محرمة، أوردت على نفسك ما يؤيد مشروعيتها قلت: وقد ورد أن النبي ﷺ دخل على بعض أزواجه فرأى نورا في الطاق، فقال: **ما هذا النور الذي في الطاق؟ فقالت يا رسول الله سبحتي التي كنت أسبح عليها، جعلتها هناك. فقال عليه الصلاة والسلام: هلا كان ذلك النور في أناملك.** فاستفدنا من هذا، أن السبحة لها أصل في الشرع، ولن لها نورا يطوها أيضا، فمن يتطوق بذلك النور، بأن جعله في عنقه، فهل يلام عليه؟ ثم قلت: [هذا على أن المراد بالسبحة هي النور، كما ورد مفسرا في بعض الأحاديث، وهي مخبأة في طاق غير ظاهرة للناس، لا السبحة المصنوعة من خرز المنظومة في خيط، كما توهمه بعض الأغبيــاء]

فأقول: وأي غباوة أشد من غباوتك، تثبت الأصل وتنكر ما تفرع عنه؟ وأي فرق بين النوى، وبين الخرز الذي ذكرته وغيره من الأشياء الطاهرة؟ وقد ثبت أن بعضهم ممن كانت له أحجار يعد بها غير النوى، ولعلك أنكرتها من حيث أنها منتظمة في خيط، فقد روي أن أبا هريرة رضي الله عنه كان له خيط معقود،



فيه ألف عقدة لا ينام حتى يسبح به أوليس في هذا ما يقرب من انتظام السبحة المعهودة؟ ألا ترى أن أبا هريرة إن كان له ورد معهود لا ينام حتى يخرجه حسبما ذكر. أتراه يترك سبحته إذا خرج مسافرا مثلا، ونظن أن النبي ﷺ إذا رآه حاملا لذلك الخيط في يده، أو جعله في عنقه ينكره منه بعدما قرره على الذكر به؟ فما أظن والله أعلم. أوليس أن الخاتم كان أول مشروعيته للختم به، ثم صار وضعه في الأصبع سنة؟ ولم لا تكون السبحة من هذا القبيل؟ أو يكون العنق لها بدل الأصبع؟ وفي ظني أن هذا لا يقع منك موقعا حسنا، لأن المسألة تتوقف على النقل. فأقول ذكر (صاحب المدارك) أنه قال: (قال بعضهم: دخلت على سحنون وفي عنقه سبحة يسبح بها) أي معدة للتسبيح، ولا شك أن هذا الخبر بلغكم، ولم تركتم العمل به؟ أوليس الإجماع انعقد على مطلوبية العمل بخبر الواحد، ولم يشترط التواتر في الخبر إلا الروافض، وما كان دفعكم لهذه الرواية إلا لأنها جاءتكم بما لا تهوى الأنفس، وإن لم تحصل بما ذكرناه الحجة فربما يقوم عندك (الجلال السيوطي) مقام من تغنيك روايته فإنه جعل رسالة تسمى (المنحة في اتخاذ السبحة) قال فيها: أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن علي كرم الله وجهه مرفوعا: (نعم المذكر السبحة) ثم قال: وكان لأبي هريرة خيط معقود فيه ألف عقدة، لا ينام حتى يسبح به وكذلك ابو الدرداء. وهكذا ذكر جماعة من الصحابة، ومثله ما ذكره الإمام السنوسي صاحب البراهين في رسالته المسماة: (نصرة الفقير في

الرد على أبي الحسن الصغير)؛ وأما أئمة الصوفية في ظني أنكم لا تعتمدونهم في هذا الباب، وإلا فاتخاذ السبحة وغيرها من أخلاق أهل التصوف، قد تظاهر بها القوم من عهد الجنيد رضي الله عنه فقد ذكر القاضي أحمد بن خلكان في (وفيات الأعيان) أنه رئي الجنيد في يده سبحة فقيل له في ذلك فقال: طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه. وفي ظني أنكم تعترفون لمكانة الإمام الشعراني رضي الله عنه في الدين، فإنه ذكر في طباقته الصغرى: بأن سيدي أحمد الكمكاعي، وكان هذا الشيخ عند الشعراني ممن ترجى بركته، قال: كانت له سبحة فيها ألف حبة فسرق له منها سبع حبات، فرأى النبي ﷺ في المنام، وقال له يا أحمد: إن فلانا سرق من سبحتك سبع حبات، ولك كذا وكذا من يوم تصلي عليّ ناقصا عن العدد، فذهب إلى ذلك الرجل وقص عليه الرؤيا، فقال صدق النبي، وأخرجها له من رأسه فأخذها وردها إلى السبحة ثم قال: ما رأيت سبحة أضوأ منها تكاد تضيء من النور، لكثرة الأوراد.إهـ

والمتوقف على الدليل يكفيه منه القليل، وإني ما طلبت منك أن تجعل سبحة في عنقك بل ولا تلمسها بيدك، إنما رجوت منك بما سقته لك من الأخبار، أن تقول قولا مقبولا، وأن لا تكون عجولا، وإلا **إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا.** ثم إنك أوردت حديثا لتستظهر به في ظنك وإني لم ادر أهو لك أم عليك؟ قلت:[روى أنه ﷺ دخل على امرأة وبين يدها نوى وحصى تسبح به، فقال: **أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا،**



**وأفضل، سبحان الله عدد ما خلق الله في السماء، سبحان الله عدد ما خلق الله في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك.]**

فأقول: إن ما ذكرته يقضي بانهدام ما قررته، أوليس أنك بصدد إثبات التسبيح بالأنامل؟ وأين أنت من هذا الدليل الذي يقضي بإسقاط العد بالمرة؟ فإنك أرحت أنفسنا من عد الأنامل وغيرها، بارك الله لنا فيك، ولكنك لم تثبت في مقالتك حتى قلت: وروي أنه ﷺ كان يعقد التسبيح بيمينه، فالتسبيح بالنوى، وما كان على شاكلته له أصل في الشرع، وهو خلاف الأولى، والأولى والأفضل التسبيح بالأنامل ]

فأقول الآن جئت بالحق الأبلج، الذي لا خفاء فيه، حيث أثبت أن التسبيح بالنوى، ونحوه له أصل في الشرع، وإذا فلا نزاع. ولنا أقول بقولك إن الأولى والأفضل التسبيح بالأنامل، ولكن من تكون له أوراد يتعذر ضبطها بالأيدي، مثل الورد الذي كان لأبي هريرة رضي الله عنه، أو من أراد العمل بقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: **إن من قال لاإله إلا الله سبعين ألف مرة حرم الله عليه النار.** فإن صح هذا، فانصفنا يشهدك الله، فهل يتيسر مثل هذا حصره بالأيدي؟ وإذا لابد لك من سبحة تعد عليها سبعين ألفا، كي تنقذ نفسك من النار إن شاء الله.

ثم تقول: إن ما قررته في هاته الجملة يصلح أن يكون قولا لكل منصف، ولكنك لم تلبث قليلا حتى نكصت على عقبك

وصرحتَ بمشروبك، وقلت: [ والتسبيح بالسبحة المنظومة بدعة محرمة، لما يعرض لها من العوارض، من إظهارها وعدم الذكر بها، وكونها من عمل الرهبان، فلهذا كانت مثلثة، وعلى شكل صليب، فلو كان الشاهدان طويلين لظهر ذلك غاية الظهور، ولا أظن أن أحدا من العلماء المهتدين يقول بجواز استعمالها لما ذكرنا، ولا زال الرهبان يستعملونها إلى الآن، وإنما استعملها بعض المتصوفة ليظهر على نفسه أثر العبادة فيعظمه الناس كما تقدم، فيتوصل إلى مقصوده، وهو أخذ أموال الناس بالخيانة والتدجيل، إلى آخر ما ذكـرت ]

فأقول: أما كونها بدعة فقد تقدم لك من الأثر ما فيه كفاية لأولي الأبصار، وقد اعترفت بنفسك على أن لها أصلا في الشرع، وحتى لو قلنا أنها بدعة فإنها لم تبلغ حد ما وصفتها به من التحريم الشديد، لأنهم قالوا رضي الله عنهم: البدعة المحرمة هي ما زاحمت سنة مأثورة أو خالفت إجماعا، وليس في السبحة شيء من هذا القبيل. وأما تعليلكم بتحريمها بإظهارها، وعدم الذكر بها، فهو متعلق بحاملها، ونيته في ذلك لا مدخل له في وقوع النص عليها، وأيضا إن حكمنا عليه بعدم الذكر، هو مجرد ظن **وإن الظن لا يغني من الحق شيئا** لقوله عليه الصلاة والسلام: **إذا ظننتم فلا تحققوا**. وقد تقدم ما يتعلق باستعمالها في العنق، وحملها باليد، وغير هذا. وأما قولكم: [ إنها من أعمال الرهبان ] فالمشتهر عند العالم أنها من أعمال المتصوفة، وحتى إننا لو قلنا انها من أعمال الرهبان فلم يلزمنا الشارع بترك عموم أوصاف



الرهبان، إلا بمجرد ترك الزنار، وقد تركته الأمة المحمدية، وتنصلت عن الشرك تمام التنصل، والحمد لله. أوليس يوجد من أوصاف الرهبان ما لم يوجد في مثلك. قال الله تعالى في مدحهم: **منهم قسيسين ورهبانا، وأنهم لا يستكبرون، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**. وعلى هذا فهل يلزمنا ترك ما وصفهم به تعالى؟ وحتى لو قلنا انها من مستعملات الرهبان، فلا شك من تباين المقاصد، وأما كونها على شكل صليب. فأقول: إن هذا المشهد مما انفردت به، وحقه أن يعد فتحا خصصت به، لأنه لم يبلغنا عن أحد فتحت بصيرته، فشهد أكثر الأمة المحمدية ما من أحد، إلا وفي عنقه صليب، نسأل الله السلامة ولكنه هذا من الكشف الذي يكشف الله به صاحبه، فيالله العجب! أي مناسبة بين شكل السبحة، وبين هيئة الصليب؟ (ولكن عين السخط تبدي المساويا) وإذا كان من اللازم أن يجتنب الإنسان في مأكوله ومشروبه ومنظوره كل هيئة تقارب هيئة الصليب، فصورتك التي أنت بها إنسان، أقرب إلى الصليب، من شكل السبحة لأنك قلت في السبحة: [ لو كان الشاهدان طويلين لظهر ذلك غاية الظهور ] وعلى كل حال أنت من ذلك أظهر، لو استقللت قائما، وبسطت يديك لاستغنيت عن أن ترى الصليب في السبحة، حيث تجده في نفسك، وعليه فلزمك حينئذ أن تهدم وجودك، أو تكف بصرك عن شهودك، حتى لا يقع على شبه صليب.

ثم أقول وحتى لو أن الله ابتلاك بالقياس في مسألة السبحة،

فلم تقيسها على الصليب؟ وعلى ما تقطه الرهبان؟ ولا تقيسها على
القلائد التي كان العرب يقلدون بها أنفسهم، وما يهدونه من
الهدي عند قصدهم بيت الله الحرام؟ حتى لا يتعرض لجاعلها أحد
بسوء، والقلائد هي عبارة عن حبل يضفر من سمار. ونحوه، وقد
مدحهم الله بذلك وذكر لهم القلائد في مقابلة الإمتنان، مع أنها
كانت من سنن الجاهلية ابتداء، وقد اعتبرها الإسلام قال تعالى:
**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس، والشهر الحرام
والهدي والقلائد.** قال ابن عطية في الآية: (القلائد ما كان الناس
يتقلدونه أمنا لهم إذا قصدوا الحج، فمدحه الله لهم في مقابلة
الإمتنان). وقال قتادة رضي الله عنه: (كان الرجل في الجاهلية إذا
خرج من بيته قاصدا الحج، تقلد بقلادة من سمار، فلا يتعرض له
بسوء). وقال سعيد بن جبير: (جعل الله تعالى هذه الأمور كالقلادة
ونحوها للناس، وهم في الجاهلية لا يرجون الجنة، ولا يخافون
نارا، ثم شددها بالإسلام). أوليس في هذا في أن السبحة أشبه
بالقلائد منها بالصليب؟ ولكنك لست ممن يلتمس المخارج، إنما
تريد التضليل، **وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم.** ثم إنك
قلت: [ ولا أظن أن أحدا من العلماء المهتدين يقول بجواز
استعمالها لما ذكرنا. ]

فأقول: **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من
الخاسرين.** أوليس قد تقدم لكم ما نقل عن العلماء الأعلام من
استعملها، أو قال بجوازها، وألف فيها، كالجنيد، وسحنون،
والشعراني، والسنوسي، والسيوطي، وغير هذا ممن لا تحصى



كثرته، فضلا عن أئمة التصوف؟ أولم تكفك هاته العصابة في
كونها حجة في الجواز، إلا أن تقول ليسوا من العلماء المهتدين؟
وحاشا لله أن نعتقد في أسلافنا سوءا، وهل هذه العصابة التي قلت
فيها: [ وإنما استعملها بعض المتصوفة ليظهر على نفسه أثر
العبادة فيعظمه الناس كما تقدم، فيتوصل إلى مقصوده، وهو أخذ
الأموال بالخيانة والتدجيل ] قلت: وفي الظن الغالب أنها لم تبق
دركة في سوء الظن بالأمة المحمدية أسفل من هاته العقيدة
عصمنا الله منها، ومن معتقدها، لأن من كان معتقدا أن من تظاهر
بالخير من الأمة المحمدية إنما ذلك ليتوصل إلى أخذ أموال
الناس. كما ذكرت، فلا يبعد عليه أن يتدرج بهذا الوزن الساقط
إلى الخلفاء الراشدين، إن لم نقل إلى الأنبياء والمرسلين عليهم
صلوات الله، ولكن كل هذا بما وجدته في نفسك من الهذيان
بالدنيا، فوزنت به على غيرك، فما رأيت إلا وصفك لأن المؤمن
مرآة أخيه فإننا والله لقد عرفنا رجالا يختارون الإقلال على كثرة
المال، وإنهم يبذلون أكثر مما يأخذون، فلا جرم أنهم ممن قال
فيهم عليه الصلاة والسلام: **بهم تمطرون، وبهم ترزقون.** ثم إنك
قلت: [ ثم ان منهم من يأخذ سبحة عظيمة العقدة منها قدر
المظلمة، فإذا مات وضعت على تابوت قبره ليصطاد بها ورثته
أموال الناس، فتكون خيرا لهم من هنشير جليل، أو سواني من
زيتون ونخيل، فإذا وفد عليهم الزائر، فإن كان من ذوي الهيئات
استقبلوه بالتبجيل والتعظيم، وفتحوا له تلك القبة المزخرفة، وبعد
أن يتم دعاءه، يقدمون له السماط، وهو عبارة عن رغيف قدر

الكف، أو قطعة منه، وهو من أفعال الرهبان، كما في (تحفة الأريب، في الرد على أهل الصليب) أو شربة ماء للبركة، وذلك كله على سبيل الخدعة، ليعطيهم المال للزيارة، وإن كان من الفقراء لم تفتح له تلك المصيدة ] إلى آخر ما ذكرته من الفصل، من المعاني السامجة، والألفاظ الركيكة.

فأقول: إن الله سبحانه وتعالى، سلطك على عرض أوليائه، فإنهم لم يخلصوا من شركك أمواتا ولا أحياء، ألم يبلغك قوله عليه الصلاة والسلام: **اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم.** وقوله أيضا: **ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات منهم أحدا فقولوا فيه خيرا.** وقال أيضا: **المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه.** فما هاته البلوى التي ألزمتك! تتبع عورات المسلمين أمواتا وأحياء؟ ألم تعلم أن الشارع عرف معنى الغيبة المحرمة بالإجماع فقال (الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره) وعن أبي هريرة (ما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبة) وقيل (إن الغيبة ذكرك أخاك بما فيه فإذا ذكرته بما ليس فيه فقد أبهته) فمن أي قسم هذا يرحمك الله؟ أمن الغيبة هذه أم من البهتان؟ والحق أنهما معا، فمنهم من غتبتهم، ومنهم من ابهتهم، **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين.** ثم إنك بعدما استخففت بأحوال المسلمين، واستسخرت بأبناء المؤمنين، وذكرت جلة من عيوب أبناء جنسك، يرضى بها الأجانب من غير المسلمين، والله لو سمعوها منك، لنلت منهم الثناء الجميل.

ثم ختمت الفصل بقولك يا أخي:



**وخير أمور الدين ما كان سنة ☆ وشر الأمور المحدثات البدائع**

فأقول: إن ما ذكرته في هذا الفصل من هتك أعراض المسلمين، وكشف عورات المنتسبين، من أي قسم هو؟ أمن أقسام السنة؟ أم من سنة رسول الله؟ أم من سنة الخلفاء الراشدين المهديين؟ فأخبرني يرحمك الله، من هو في الصحابة والتابعين أباح أعراض المسلمين؟ حتى اقتفيت أثره في نشر قبائح أهل الإسلام، وإني نسألك بالله إلا ما أخبرتني! أي بدعة خالفت السنة والاجماع مما في هذا الفصل، أهي اتخاذ السبحة في الأيدي وحركتها كما ذكرت؟ فلا بد للعاقل وأن يقول: إن بعض الشر أهون من بعض، وأي شيء آلمك من أبناء المنتسبين، ان كانوا يصلون ويصومون ويقرءون القرآن، وما هو من خصال الإسلام، أم هو ما يأخذونه من الهدية، فاردت أن تقول بتحريمه، فإن الشارع يقول بخلاف ذلك فإنه قال: **أحلُّ الحلال العطاء بغير سؤال.**

ألم تعلم أن حرمة الصالحين تتعدى لأبنائهم ولأبناء أبنائهم، إن كانوا على آثرهم مسلمين، وبالأخص إذا كانوا من عترة النبيء صلى الله عليه وسلم وقرابته، على ما يتضمنه النص السماوي من لزوم مودتهم **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى.** ألم يبلغك ياهذا أن موسى والخضر عليهما السلام خدما بانفسهما من كان أبوهما صالحا؟ وأي منقبةأشرف منها لأبناء الصالحين؟ لا والله لا ينقصهما قولك، ولا قول من هو على شاكلتك ولكني أرجو من أبناء الصالحين أن يرثوا من آبائهم صلاحا **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم.**

ثم انك عقدت فصلا قلت فيه الفصل الثاني: [ ومن الضلالة التشبه بالكفار، وقد أخبر به ﷺ حيث قال: **لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب، لدخلتموه، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه.** ] إلى آخر ما استطردته من هذا القبيل. ثم انك ذكرت جملة من البدع يتعين الإحتراز منها، وما ذكرته حق ظاهر، لا يخفى شعاعه عن الأعمى، فضلا عن البصير، ولكن ظهر لي أن ما ذكرته هو مجرد توطئة لتحمل من بعده بما في وسعك على قبور الصلحاء وزوارهم، كما سيظهر. إذ لو كنت بصدد محاربة عموم البدع لناقشت كل مبتدع على حدته ولكني أرى محور صناعتك لا يدور إلاّ على ما ذكر، ولو كنت تتوقى التشبيه بالكفار، لعقدت فصلا فيما يتعين الإحتراز منه من الداء الحالي، الملازم من عوائد الأجانب، المتمكن سريانه من أبنائنا ونسائنا، لنتحفظ على السنن الإسلامية والأخلاق العربية، ولكنك أتيت بما لا طائل تحته في الغالب، إلاّ بما يقضي بالتنافر، حسبما يظهر؛ ألا ترى أنك بعد ما نقلت قول (سيدي علي الأجهوري) وهو قوله في تعظيم القبور، حتى كاد العوام يعبدونها، قلت: [فلو كان في زماننا هذا، لقال يعبدونها، لا حتى كاد، فأفعالهم وأقوالهم صريحة في ذلك].

قلت: فيالله العجب! متى ارتدت أمة محمد حتى عبدت القبور؟ وهلا وقفت عند قول الأجهوري، وتركت مندوحة لك وللمسلمين؟ وحتى لو نقلت فيهم هاته الخصلة وحاشا لله! لكان التعريض بها أبلغ من التصريح، فيا ما أشجعك! فوالله لا يتجاسر



المؤمن أن يرجم أحدا بالإرتداد، فضلا عن أن يحققه ويحكم به على أمة من خير العباد، لأن ما من أحد من أهل السنة إلاّ ويعظم صلحاء الأمة ويتبرك بقبورهم، ويلتجيء إلى جانبهم في المهمات، وليس قصده إلا أن يتشفع بهم لله عز وجل، ولما صرحت بما سبق، خشيت أن العبارة لا توافق، بمعنى أنها لا تفهم، كون أهل هذا الزمان مرتدين، يعبدون القبور، أتيت بما هو كفيل بالتطابق قلت: [ وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما، ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال: **إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، وأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.** فقد اتبعهم أهل هذا الزمان في ذلك، فهم شر الخلق والخليقة.

فأقول: جزاك الله عن أمة أحمد بما أنت أهله، فوالله لا يرضى رسول الله أن يسمع من يقول في أمته أنهم شر الخلق والخليقة ألم يكفك تقبيح عوائدهم، وتنقيص عقائدهم، حتى جعلتهم في الدرك الأسفل من النار، بالنسبة لعباد الأوثان، لأن الشارع غاية ما قال فيهم أنهم شر الخلق. فقلت أنت في أبناء ملتك: أنهم شر الخلق والخليقة، وحتى لو قلنا أن عموم الأمة المشبهين بما ذكر، فهل المشبه يقوى قوة المشبه به؟ فإذا وقع الحكم على المشبه به من الشارع أنهم شر الخلق، فلا يلزم أن يكون المشبه شر الخلق مثله، فضلا عن أن يكون شر الخلق والخليقة. ألم تعلم أن ما ذكره ﷺ هو على سبيل التحذير لأمته، ذلك الذي يخوف الله به.

عباده، وإلا فهو عليه السلام في ثقة من يقين أمته، من أنه لا يتزلزل، وكيف لا، وهو يشهد لهم بذلك، حسبما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **ما أعطيت أمة من اليقين أفضل مما أعطيت أمتي**. وعنه أيضا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **ما من أمة إلا بعضها في النار، وبعضها في الجنة، إلا أمتي فإنها كلها في الجنة**. نقلهما في (الجامع الصغير) فأين شهادتك لهذه الأمة من شهادته لها عليه السلام؟ وما أثبته لها من اليقين؟ فهل تظن أنه يتغير بتعظيم الصالحين؟ مع أن تعظيمهم لهم ليس هو إلا لله.

نعم، ثم أفراد تجاوزوا في التعظيم عن المعتاد، وكيفما كان لم يبلغ بهم ما وصفتهم به. أوليس لك مسلك غير هذا تسلكه في التذكير والوعظ، حتى سلكت هذا المسلك المتوحش، الذي لا طائل تحته إلا ما ينبىء عن سوء العقيدة؟ ألم يبلغك قوله تعالى: **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**؟ فمن أي قسم هذا، أمن الحكمة أم من الموعظة الحسنة؟ وحتى لو قلنا أنك درجت في هذا على مذهب الوهابية القائلين بمنع الزيارة مطلقا، فتحتاج إلى أسلوب ألطف من هذا، لبث العقيدة في قلوب المتمكنين، بما ينقضها، إلا أن الأمة أبعد من أن تتجرع مرارة تلك العقيدة في كأس واحد. ثم قلت: [ ولنرجع إلى الكلام على الزيارة. فأما المرأة فلا يجوز خروجها للزيارة اتفاقا، كما هو معلوم في كتب الفقه وقد قال عليه الصلاة والسلام: **لعن الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد**. وأما الرجل فإن



قويت عقيدته بالإيمان، ويعلم علما يقينا أن المعطي والمانع هو الله، وأن النفع والضر لا يكون إلا منه سبحانه وتعالى، وليس في المحل مانع شرعي كالنساء، وبسط الحرير وراياته، وأواني الفضة والتماثيل، جازت له الزيارة، وإلا يكون الأمر كذلك حرمت، وعلى كل حال فالبعد أحوط لضعف الإيمان في هذا الزمان، فإذا أراد الإنسان أن يسأل الله سبحانه وتعالى شيئا، سأله في أي مكان، وفي أي زمان، فالمدار على النية، وإظهار العبودية ]

فأقول: إن ما ذكرته في هذه الجملة مما يتعلق بأحكام الزيارة، فقد أصبت، وخطأت خطأ فاحشا، يأتيك نبؤه بعد حين. أما الصواب في هاته الجملة فهو قولك بجواز الزيارة، إن لم يكن مانعا شرعيا. وأما الخطأ فيتخرج من ذكر الموانع، حيث ذكرت من جملتها بسط الحرير وراياته، وأواني الفضة، كأنك تقول مهما وجدت هاته الأمور في ضريح حرمت زيارته. فإن كان لازم القول يعد قولا، فأنت تقول بتحريم زيارة بيت الله الحرام، وقبر المصطفى عليه الصلاة والسلام؛ لأن في الحرمين الشريفين يوجد من النوعين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت؛ ألم تعلم أن أستار الكعبة من خالص الحرير؟ وفي الحرمين من أواني الذهب والفضة ما لا يحتمل التقدير؟ فإن كان ما ذكر من الموانع الشرعية فقد أسقطت الحج عن الأمة المحمدية؛ وإني أقول ما كان كالحرير حرم استعماله على الذكر، ولم يمنعه الشارع من رؤيته كأن يكون زينة على حائط أو ستار الكعبة مثلا، وحتى إذا كان المنع متعلقا بشيء من ذلك يكون راجعا لمن اتخذه، لا

لمن نظره، وهذا ما كنت نعلمه من الشرع، قبل أن يطلعني الله على معلوماتك ثم انك بعد ما قررت إباحة زيارته بالشروط التي قررتها. قلت: [ وعلى كل حال فالبعد أحوط لضعف الإيمان في هذا الزمان، فإذا أراد الإنسان أن يسأل الله سبحانه وتعالى شيئا، سأله في أي مكان، وفي أي زمان كان، فالمدار على النية وإظهار العبودية]

فأقول: إن الإستثناء هنا غير لائق، لأن الشروط التي قررتها إن وجدت، كانت الزيارة مندوبا إليها، لوجود الأمر حسبما تشهد له الآثار. وإن عدمت الشروط يتعين المنع كما ذكرتم. وإني حتى الآن أقول البعد أحوط لاحتمال اختلاط النساء بالرجال، وإن اعتقد لنفسه السلامة وقليل ما هم، وأحرى لمن لا يعتقدها من نفسه، ومن هنا يتعين على ولاة الأمور، إن أباحوا زيارة النساء يقيدونها بيوم مخصوص، وأجرهم على الله.

ثم إنك أتيت بقاعدة من أهم قواعد الدين، كافلة بالجمع بين المتنازعين، وما فاتك منها إلا أن تستصحبها في جميع ما قررته من انتقادك على المنتسبين، وهي قولك [ فالمدار على النية ] فلزمك بهذا الإعتراف أن لا تشوه أي مقصد من المقاصد، لاحتمال أن تكون نية صاحبه صالحة خالصة لله عز وجل، حسبما ورد في الصحيح: **إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله..** وورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **تحشر الناس على نيتهم.** وبهذه القاعدة يتضح لنا وجه المسألة في سائر الأمور



الإجتهادية والمسائل الخلافية إذ ما من مؤمن إلا ويجهد جهده فيما يقربه إلى الله عز وجل، والمدار على النية كما ذكرت.

ثم إنك ذكرت في هذا الفصل عدة أحاديث تتضمن خالص التوحيد لله، كقوله عليه الصلاة والسلام: **فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله.** الخ فهذا ونحوه مما يدور عليه محور التصوف، وإني لا أرى من هو أشد محافظة على خالص التوحيد من القوم رضوان الله عليهم، ومصنفاتهم أعدل شاهد، ومن لم يتغلغل في علومهم لم يخلص تماما مما يشيب الإعتقاد. ولهذا قال إمام هذه الطائفة ( أبو الحسن الشاذلي ) رضي الله عنه: من لم يتغلغل في علمنا هذا، مات مصرا على الكبائر.

ثم إنك ذكرت وجه العلة في منعه عليه الصلاة والسلام لزيارة القبور في صدر الإسلام. قلت: [ فقال بعض العلماء: إن النبي ﷺ كان نهى عن زيارة القبور في أول الإسلام، حيث كانت الجاهلية تعظم القبور، وربما عبدوها، فحصن عقائد المؤمنين بالنهي، فلما استقر الأمر أباح الزيارة. ] قلت وهذا مما يحتمل، وقد ظهر لي احتمال آخر، وهو أنه عليه الصلاة والسلام منع زيارة القبور في صدر الإسلام، حيث لم يكن فيهم من يستحق الزيارة من أمة المشركين، ولما غصت القبور بأمة المسلمين وشهدائهم، أذن في التبرك بتربتهم، والوقوف على ضرائحهم تبصرة وتذكرة، والله أعلم. وبعد هذا أخذت في تقرير حكم جديد قلت: [ وحيث عم الجهل، ولم يبق للعلم إلا الإسم، وضعف الإيمان، باعتقاد أن الشيخ المزار يضر وينفع، حرمت الزيارة على العامة فإن العلة

تدور مع المعلول وجودا وعدما، مع ما ينضاف إلى ذلك من اجتماع الذكور بالإناث، والغلمان. وكثير ما يكون هو المقصود]

فأقول: وهذا إعلان منكم بجواز تغيير الحكم من الندب إلى المنع، وما أشبه ذلك وهذه ذريعة يخشى منها أن يصير دين الله عرضة في أيد المتلاعبين، يبدلون الحكم متى ظهرت لهم شبهة بنفي العلة أو بوجودها، ويشهدك الله ان الصوفية التي نقلت من أفعالهم، هل قالوا بتحليل المحرم؟ أو بتحريم الحلال؟ نعم: يقولون لكن بما هو أهون من ذلك، كقولهم بجواز الإجتماع على ذكر الله والجهر بلاإله إلا الله، وما هو من هذا القبيل، فجعلتم أن ما هم عليه من أقسام البدعة الضالة، والحق أن ما قررتموه في هاته النازلة هو أولى بأن يسمى بدعة وأما تعليلكم منع الزيارة من كون اعتقاد العامة في الشيخ المزار يعطي ويمنع، وما هو من هذا القبيل؛ فقد ذكرتم هذا أولا في الموانع، وإني لا أظن أن يوجد مثل هذا في سائر العموم فردا فردا، إنما يعتقد عوام المسلمين بوجود الوسائط بينهم وبين الله عز وجل، يلتجؤون إليهم في المهمات، لأنهم لم يبلغوا إلى الدرجة التي تحذف فيها الوسائط، حسبما بلغتها أنت في زعمك، فلهذا لا يتوسلون إلاّ بما هو أقرب إلى الله منهم. وأما قولك [مع ما ينضاف إلى ذلك من اجتماع الذكور بالإناث] فحقك أن تجعله السبب الوحيد في منع الزيارة، لكن لا مطلقا. إنما بقيد الإجتماع، وإنه أضر شيء يحتاج إلى التنبيه عليه، لأن اجتماع الذكور بالإناث لا تخفى مضرته، فلا تسلم مخالطة النساء بالخصوص، فضلا عن العموم. ثم استدللت



على عدم الإنتفاع بالزيارة بقول (ابن عربي الحاتمي) حيث قال: [إن الميت لا ينفع، لأن النفع عمل، وعمله قد انقطع.] فاتضح من هذا أن نهيكم عن الزيارة ليس هو لعدم توفر شروطها، إنما هو لاعتقادكم عدم الإنتفاع بالميت البتة. وإلا لما استشهدتم بقول (ابن عربي) وإني لا أقول بالخطأ في قوله إنما أقول بالخطأ في الفهم بمراد ابن عربي؛ ان الميت لا ينتفع به من جهة ما يتعلق بتربية المريد، وسيره في طريق الله من أجل أنه يشترط في صحبة المرشد، أن يكون عارفا بالمسالك وقيد الحياة شرط في الصحبة، وهذا النفع لا يتأتى إلا بصحبة الحي. وأما الإنتفاع الذي هو عبارة عن التوسط والتشفع لله سبحانه وتعالى بخاصة خلقه والتبرك بأعتابهم، فهو من مقررات الشرع، بل أذن لنا الشارع أن نتبرك ونتوسل لله عز وجل بما لا حياة فيه البتة، كالحجر الأسود، والبيت الحرام، وما هو من هذا القبيل، فضلا عن أن يمنعنا من أن نتوسل أو نتبرك بما هو كالأرواح الطاهرة، والأجسام النيرة، وإني أحذرك الله من أن تحمل قول ابن عربي على إطلاقه من عدم الإنتفاع بكل ميت من جهة التوسل به، والتبرك بتربته لأنه يشمل عموم من أنعم الله عليهم من النبيئين، والصديقين والشهداء والصالحين. ألا ترى أنه تعالى أنزل على ذروة مجدهم: **إنك ميت وإنهم ميتون**. وهكذا تراني أجدك تطلق القول بدون ما تعتبر لازمه، ولكن قولك هذا لا متسع له في أفكار أهل السنة، لأن الخلف لم يزل يعتبر السلف، ويتبرك بتربته ويتوسل بجنابه، إلاّ إذا لم يبق على وجه الأرض من

يقول: الله الله. كما جاء في الحديث، وعلى كل حال رأيتك قمت بواجب مقامك، فإنك بعد ما بالغت في التشنيع على المنتسبين، والتحذير من صحبتهم، وبرهنت على أن لا نفع في ملاقاتهم أحياء، فخشيت ما ربما يتوهم من أنه قد ينتفع بزيارتهم أمواتا، قلت: قال ابن عربي: (إن الميت لا ينفع) فاتضح حينئذ من خلاصة ما جمعتموه أنه لا نفع فيهم أحياء و أمواتا، وهذا ما حكمت به، والله يحكم فيما وراء ذلك.

ثم إنك ذكرت من البدع المحرمة [ حلق اللحية أو جزها للبشرة وترك شعر الشارب ] فإني أقول: أما ما ذكرته من حلق اللحية حقه أن يسمى بدعة لأنه زاحم سنة مأثورة: وهو سدل اللحية وقص الشارب، لأمره عليه الصلاة والسلام في غير ما حديث؛ وإن الفاعل لذلك إن كان متفقها يعلم من نفسه أنه مرتكب بدعة، لأنه لا نص في يده يعتمده، وإني أتمنى على الله أن تتنبه فقهاؤنا لمثل ذلك، لأنه إن كان فعل ذلك من العموم شنيعا، فهو من الخصوص أشنع. ثم إني رأيتك تغفلت عن ذكر كون (النفة) المستعملة الشائعة في زماننا من البدع، وفي ظني أنه ما منعك من التنصيص عليها إلا لكونك جعلتها مما استحسن، أو وجدت لها مستندا في السنة، وحاشا لله وإلا لشنعت على فاعلها بأبلغ تشنيع، وقصدته بكل قول وجيع، ولعله يكون ذلك إن طال العمر إن شاء الله، بعدما تتحقق أنها بدعة مذمومة، لأني رأيتك محافظا على السنة مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام: **فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها**



**بالنواجذ.** ولكني لم أدر أن ما أطلقت به لسانك في تمزيق أعراض المنتسبين وتتبع عوراتهم، أهو من سنته عليه السلام؟ أم من سنة الخلفاء الراشدين؟ وحاشا لله قال تعالى تنفيرا للمؤمنين من أن يذكر أحدهم أخاه بسوء: **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه.** ولكن سولت لك نفسك أو نقول أوحى إليك شيطانك، أن ترتكب هذه الرذيلة بدعوة أنك تيقظ الناس، وتحذرهم من أن يغتروا بالمنتسبين، لأن الله أطلعك على بواطنهم، فوجدتهم على خلاف ما أظهروه، وحتى لو قلنا بتمكن هاته العقيدة في قلب من يتخذك مذهبا، فلا تكون نتيجتها أكثر من سوء الظن بمن ينتسب إلى الله أو يتظاهر بالصلاح كائنا من كان، حتى إذا استكملت خصاله في هذه الدرجة الخسيسة في الخلف فلا يبعد أن يجنح به معتقده إلى السلف، ومن المطوم أنه لو كان في عصر النبيين والمرسلين، لم يزد مشهده فيهم على مشهده في الصالحين من أهل زمانه، ولا يبعد أن يكون ممن قال في رسول زمانه: **إن هم إلا يكذبون.** ونحو ذلك، وإني أحمد الله لكم حيث فاتكم عصر المرسلين، وإذا لكنتم من الخاسرين.

ثم إنك بعدما لوحت وصرحت ونوهت ووضحت، والمرمى في جميع ذلك متحد في النهي، من أن يكون الإنسان من المنتسبين، أو يصحبهم أحياء أو يزورهم أمواتا، وبعد ما استفرغت جهدك بأبلغ تحذير، ذكرت الآن [ فصلا ] تحذر فيه ما ربما الإنسان يتشبه بهم، قلت: [ الفصل الثالث في التشبه بالصالحين وهو من الضلالات ] وحتى إلى الآن لم أفهم معنى هذا التركيب، غير أني

اعترف بأنه أسلوب غريب، حيث ذكرت أولا فصلا في التشبه بالكافرين، وهو من الضلالات، وذكرت الآن فصلا في التشبه بالصالحين وأنه من الضلالات أيضا، ويالله العجب! ما هاته الضلالة التي أحاطت بالمسلمين؟ والذي كان في علمنا وجاء به الخبر عن نبينا: **إن من تشبه بقوم فهو منهم**، وإن لم يبلغ درجاتهم، ولهذا قال قائلهم:

**فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ☆ إن التشبه بالكرام فلاح**

فيالت شعري ما هو فعل السنة المأمور به إن لم يكن عبارة عن التشبه بالسلف في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، ولعل الذي منعك عن اصابة المعنى في اللفظ هو سوء التعبير، فربما اردت ان تقول أن التظاهر بالصلاح، مع خبث الطوية هو من الضلالات، ففاتك حسن السبك كما فاتك حسن الظن، وإلا كون التشبه بالصالحين هو من الضلالات لم يقل به غيرك.

وأما ما نقلته من قول [صاحب المدخل] حسبا سيأتي فهو غير مطابق لما ترجمته في الفصل، ولا مطابق لمعتقدك في مذهب التصوف، لأنك تشوهه من أصله، وصاحب المدخل بخلاف ذلك إنما يعتبره كل الإعتبار، وانكاره متعلق بما ينسب لذلك وربما هو على خلافه في نفس الأمر، أوليس قد عقد فصلا قبل الفصل الذي نقلت منه يقول في ترجمته: [ اعلم أن طريقة القوم نظيفة وكل شيء يدنس النظيف ] ومن هذا يستفاد أنه يجل مذهب التصوف كل الإجلال، إنما ينفيه على من لا تتوفر فيه شروطه من أهل زمانه على ما تقتضيه المعاصرة ولا يبعد أن يكون المتداخل والمبتدع في كل زمان، وكل هذا يستفاد من



قوله: [منهم ومنهم] إلى آخر ما ذكر من الأحوال التي كان يعتبرها مجرد التمويه والذي يفيدنا أنه مقر بأهل النسبة هو قوله رضي الله عنه بعد كلام: [إنه لا يظن الظان أن ما تقدم ذكره، فيه إنكار لأخذ العهد من أهله لأهله بشرطه المعتبر عندهم، إذ أنه درج عليه السلف الصالح، نفعنا الله بهم] ثم قال: [ولا أنكر أيضا الإنتماء إلى المشايخ بشرطه] وقال بعد ما ذكر جملة من اخلاق أهل التصوف [فهذه كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة، وهم قدوة لمن بعدهم ممن يتمسك بطريقتهم، أسأل الله أن لا يخالف بنا عن حالهم] وهذا بعض ما اشتمل عليه (المدخل) مما فيه دلالة على اعتناء صاحبه بمذهب التصوف، كغيره من العلماء الأعلام، وبراءته مما نسبته إليه، ولكنك خنته حيث نقلت عنه ما يضر بانفراده، توهم من لا خبرة له من أن (صاحب المدخل) هو غير معتقدك، في تشويه مذهب التصوف، لولا أن كتابه يشهد عليه ومثلك معه مثل ما روي عن (أبي الدرداء) حيث قال: قال رسول الله ﷺ: **مثل الذي يجلس يسمع الحكمة ولا يحدث عن صاحبه إلا شر ما يسمع، كمثل رجل اتى راعيا فقال: يا راعي ابررني بشاة من غنمك فقال: اذهب فخذ بأذن خيارها شاة، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم**. وفي هذا الحديث أبلغ تشبيه بما فعلته مع (صاحب المدخل) وغيره ممن نقلت عنه وأما ما ذكره من قول (الطرطوشي) وغيره ليس هو عين معتقده في القوم، حسبما يفهم من فصوله المنقولة وغيرها، وهذا هو الفصل الذي اعتمدته قلت: [قال في المدخل: فصل في ذكر بعض المتشبهين بالمشائخ وأهل

الإرادة، وهذا باب متسع متشعب قل أن تنحصر مفاسده لكثرته، لكن نشير إلى شيء منه فمن ذلك أن من الناس من يدعي الصلاح والدين، وأنه من أهل الوصول، ويأتي بحكايات من تقدم من الأكابر، ويطرز بها كلامه وهو مع ذلك يشير إلى نفسه بلسان حاله، وان عنده من ذلك طرفا، ومنهم من يشير إلى نفسه بالكرامات، وخرق العادة، وهو عري عنها بالإتصاف بضدها؛ ومنهم من يدعي رؤية (الخضر) ويؤكد ذلك باليمين، ليكون أدعى للقبول منه، ومنهم من إذا أراد أن يلقي شيئا بما يخطر له والتمويه على العامة ليعتقدوا كلامه، وإنه من الصالحين قدم قبله الإستشهاد بكتاب الله فيقول: قال تعالى: **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة.** ويحلف عند ذلك، وأنه رأى ورأى، وأنه خوطب في سره]- قلت وإني لا أنكر وجود المموه بين أفراد الصالحين، سنة الله في خلقه، فقد ادعى الناس النبوءة، وكل ذلك لا نزاع فيه، إنما النزاع في إنكاركم مذهب التصوف، وتنقيصكم وتبديعكم أحزاب الذاكرين على اختلاف طبقاتهم، وما ذكره (صاحب المدخل) فهو على احتمال، وما يدريك ويدريه أن يكون وجود المخلصين بين أفراد المشار إليهم، والحالة أن الغيب لله. وقد قال عليه الصلاة والسلام: **أخفى الله ثلاثا في ثلاث.** وذكر من ذلك اخفاء الولي في خلقه، ومن أجل هذا كان حسن الظن من أهم خصال الدين. قال الشيخ ( عبد الوهاب الشعراني ) في منته: ومما من الله به علي، تعظيم كل من رأيت عليه زي الصوفية، وعلامتهم التي يتظاهرون بها. إه



ولكن هذا ونحوه يتصور ممن يعتقد وجود الصلاح في المنتسبين إلى الله عز وجل، لا فيمن ينتزع الخير من الأمة عموما. ثم انك قلت: [ وقد ادعى رجل جميع ما مر، بل ازيد منه مما يطول ذكره، وقد اغتر به بعض ضعاف العقول، وممن ينتسب إلى العلم، ويزعم أنه على حال كمال، ففضح الله جميعهم ليكونوا عبرة للمعتبرين.]

قلت: فلم نجدك إلا متهورا في كل ما نقلته فأما نسبة الفضيحة لمن ادعى ذلك فصحيحة، إن وقعت حسبما ذكرت، وأما نسبتها لمن اعتقده فلا، لأنه انخدع بالله قال (عمر بن عبد العزيز) رضي الله عنه: من خدعنا بالله انخدعنا له. نعم صاحب سوء الظن لا ينخدع لمبطل، كما أنه لا يربح من المحق، لكنه انخدع لكبير المبطلين وهو الشيطان، حيث أساء له ظنه في الذاكرين، ولم يعلم أن علامة محبة الله محبة ذكره، وعلامة محبة ذكره محبة الذاكرين. ألم تعلم يا هذا أن الذكر يشهد لصاحبه بالإيمان على كل حال، والإعتراض على الذكر يشهد لصاحبه بالنفاق على كل حال، ولكن لم ندر أي ذنب ارتكبته فكانت عقوبته لك ما ارتكبته من الخوض في أعراض الذاكرين؟

ثم انك أخذت تلصق بجانب أهل التصوف كل ما هو خارج عن مذهبهم فقلت نقلا عن (صاحب المدخل): [ ومنهم من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بتزيي من الناس، وذلك أنه لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرا، إذ من شرط المعجزة إظهارها والتحدي بها، والكرامة عكس ذلك فإذا أظهرها للناس فقد

خرجت عن باب الكرامة قالوا: اللهم الا ان تقع ضرورة شرعية
محوجة إلى إظهارها، ومنهم من يظهر الكرامات بإمساك الثعابين
والأنس بها، وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف، والتمويه
على الأمة بما لا حقيقة له إذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس
لمعيشتهم، فكيف يعد كرامة ومنهم من يأكل الثعابين وهي حية
وذلك محرم، لأن أكلها لا يجوز إلا بذكاة عند من يرى جواز
أكلها، وإن ذلك من غير حقيقة فهو من باب الشعوذة والسحر،
وهو حرام بالإجماع. فكيف يكون وليا، ومع ذلك يرتكب
المحرمات؟ ومنهم من لا يأخذ شيئا من بدنه، وذلك قبيح شنيع،
لأنه يشبه فعل الرهبان، وفيه المثلى والإستقذار، وهو منهي عنه.
ومنهم من يلبس الليف والأشياء التي لا تستر العورة.]

قلت: وفي ظني أن ما أجملته في هذا الفصل ليس لك فيه
غرض إلاّ التشويه بأعراض الصوفية والتقبيح لأخلاقهم، وتريد أن
تقرر ما نقلته في ذهن القارىء، أنه من أخلاقهم، وحاشا لله أن
يعتقد المتطلع على أصول الطريق، العالم بأحكامها، أن ذلك من
مشروعية المتصوفة أو من معتمداتها، ومؤلفاتهم أعدل شاهد إن
قالوا بذلك، أو أمروا به، ومن اخترع شيئا تحمل عليه عقوبته ولن
يزال مذهب التصوف شمسا لا تنكسف، وبدرا لا ينخسف، ما
دامت السنة مأثورة، والشريعة منصورة، والشرع حاكم على
المتصوفة وغيرهم.

ثم أقول: إن الصوفية أعلم بدين الله منك، وممن هو على
شاكلتك إن لم أقل أعلم عباد الله بالله وبأحكامه وبحول



الإلتباس في يوم مجموع له الناس! وبعد ما انتهى ما قصدتم به
على سبيل التعريض، استصوبت قبالة وقلت من عندك: [ ومنهم
من يلبس المرقعة التي كان أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب)
رضي الله عنه نهى عن لبسها، المعروفة عندنا (بالدربالة) حتى أن
بعض العامة يسمون أبناءهم بودربالة معناه صالح، وهو من الألقاب
القبيحة في الشرع.] فأقول انه من طبعك نفي الشيء، وإثباته
بمحض الرأي، بدون مبالاة بحكم الله فيه، كما ذكرت هنا في
النهي عن لباس المرقعة، ونسبت ذلك لسيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، والذي شاع عنه خلافه، وأنه اتخذها هو في نفسه،
وبذلك تواترت الأخبار من عدة طرق؛ منها ما روي عن أنس بن
مالك أنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف
بالبيت، وعليه جبة من صوف، فيها اثنتا عشرة رقعة، واحدة منها
من الأديم أي جلد أحمر. وما ذكرته من نهيه عن لباس المرقعة
مما يستبعد، حيث ثبت عنه اتخاذها في نفسه، وهل يصح أن ينهى
عن خلق ويأتي بمثله؟ وبالأخص إذا كان اذن الشارع فيه لما
روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة: **إن أردت اللحوق بي
لا تنزعن ثوبا حتى ترقعيه.** وغير هذا مما هو من هذا القبيل،
ولم ندر أن ما نسبته لسيدنا عمر رضي الله عنه، أهو مجرد تزوير
منك؟ أم هو ضعف في الرواية؟ أم نهي مقيد؟ لأنه رضي الله عنه
لا يمنع ما أباحه الشرع، أو اذن فيه إلا لعلة تقيد بأفراد مخصوصة
إن كان ذلك،وعلى كل حال، انك لا تعزو القول لقائله ولا النقل
لناقله؛ وهذا من جهة ما يتعلق بالنهي عن لباس المرقعة

وأما من جهة ما يتعلق بركاكة الألفاظ التي ركبت منها هاته الجملة فهي تستدعي الإعراض عن هذا الإعتراض، ولكن من نحت العاطل أن لا يدرك الحق من الباطل، فما هذه العجمجة المعدومة النتيجة؟ وما فائدة قولك: [حتى أن بعض العامة يسمون أبناءهم بودربالة] إن كانت كنية تحتها اسم، وبالأخص أن ما قلته من أن بودربالة معناه صالح ومن أين أخذت هذا التفسير؟ فياما أبعده عن معناه! ولم لا تقول معناه صاحب المرقعة؟ ثم قلت: إنه من الألقاب القبيحة في الشرع، أوليس هو من الكنى؟ فما بالك ذكرته لقبا ثم قيدته من كونه قبيحا في الشرع، فيالله العجب من قوم يقبحون الأشياء بطبعهم، ثم ينسبون ذلك للشرع! فأي شرع قبح ذلك اللفظ، وأي نص في شرعنا نص على كون بودربالة هذا من الألقاب القبيحة؟ ومن أي شيء استفدت قبحه؟ أمن كنية أبي هريرة، أم من تكنيته عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي تراب؟ وأي فرق بين الهرة والمرقعة والتراب مثلا؟ حتى كان بعضها من الألفاظ القبيحة، ومن الغريب أنك قلت في بودربالة معناه صالح، ثم قلت: إنه من الألفاظ القبيحة وفي ظني أن بين القبح والصلاح بونا شاسعا، لا يتحدان في لفظ واحد، ولكنك لو كنت تحترم الشرع، لما عجلت في نسبة الأحكام إليه بدون علم، أولم تسمع قوله عليه الصلاة والسلام: **من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السموات والأرض.** وأي شيء يترتب على هذا اللفظ حتى ارتكبت به هذه الجريمة باضطرارك، لنسبة قبحه في الشرع؟ ولكن في ظني لاقتحمت



ذلك لتتوصل به إلى تجريح من لا تخشى الله بتجريحهم، ومن ذلك قولك: [ ومما يحكى أن بعضهم قال لصوفي بعني جبتك فقال له إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصيد، فإذا نظرت إلى متصوفة زماننا، المتصفين بما ذكرنا، وجدتهم صيادين أصحاب شرك وحبالات، وكثير ما يقع في شركهم من ينتسب إلى العلم كما رأيناه وسمعناه، فضلا عن العامة، والغالب أن العامة لا تقع في مهواتهم إلا بعد وقوع الخاصة فيها، فيتمكنون بتلك النسبة الموهومة من سلب أموال الناس بالباطل، فيصيرون أغنياء بعد أن كانوا فقراء، وكثيرا ما يستندون إلى ذي سلطان، فيتوصل كل واحد منهم إلى مقصوده، فبسبب ذلك تتقوى شوكتهم، ويظهر سلطانهم، وهذا هو الأمر المقصود من أعمالهم فهم أشد ضررا على المسلمين من العدو، وأهل الربا، فإن المرابي يدفع قليلا من المال ليأخذ عنه كثيرا، وقد علمت ما ورد في شأنه من الكتاب والسنة وشيخ الطريقة لا يدفع شيئا البتة، ويأخذ أموال الناس بالدين، فمن كانت هاته صفته فكيف يكون من أولياء الله؟]

قلت لم استفد من ذكرك هاته الجملة، أكثر من علمي بقلة حيائك وعدم مروءتك ولكن الحياء من الإيمان، ومن لم يستح من الناس، لم يستحي من الله ألم يبلغك يا هذا ما توعد الله به المغتاب؟ ألم ينهك الله سبحانه وتعالى بقوله: **ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه.** أوليس ذلك من الكبائر؟ روي عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **من الكبائر استطالة الرجل في**

عرض أخيه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **من آذى مسلما فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.** انتهى من (الجامع الصغير)

وفي ظني أنك تعترف بإسلام المتصوفة على كل حال، وإن كان كذلك فما هذه البلوئ التي الجأتك للإستطالة في أعراضهم، فشوهتهم بكل صيغة، وذكرتهم بكل رذيلة؟ ولو استثنيت منهم أحدا لكان شفيعا لك فيما كاتبتك به، ولكنك عممت فقلت: إن المقصود من أعمالهم التوصل إلى جمع الدنيا. وغير هذا مما ذكرتهم به، أولم يبلغك زهدهم وتقشفهم وتجافيهم عن الدنيا، حتى كانوا حجة على أمثالك في العاجل والآجل. وهل ترى أن من تمكن حب الدنيا من قلبه وامتزجت بلبه يستطيع أن يفطم نفسه عن لذائذ الدنيا في العاجل، ليتمكن بها في الآجل؟ وهذا من أبين المحال عند من عقل، كيف يترك الشيء لأجل أن يتوصل إليه وحتى لو قلنا أن فطمهم كان لأجل ذلك فافعل أنت مثل فطمهم مخلصا به لله لتكون قدوة إن كنت من الصادقين، كلا **وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين.** وإني تفرست فيما ذكرته، فوجدت والله أعلم أن الحامل لك مجرد حسد، وفيه نوع من اعتراضك على الله في قسمته، حيث منحهم ومنعك، وهي قسمة من الله لا مدخل لهم فيها، ولا لك لولم تعلم أن عصابة الذاكرين المتصدرين للإرشاد، وعدهم الله بمثل ذلك قال تعالى: **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم،**



**وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا.** وقد صاروا أمراء بعد أن كانوا فقراء **والله يرزق من يشاء بغير حساب.** وإننا والله تركنا الدنيا فطلبتنا، وتنفلنا عليها فلحقتنا، ولا زلنا معرضين عنها بقلوبنا، ولا زالت تابعة لأثرنا، فكانت من جملة أتباعنا، وكنتم من جملة أتباعها، **ذلك تقدير العزيز العليم.** أحببت أم كرهت، ولكن اتمنى على الله أن يتوب عليك، ويغفر لك قبل أن تغرغر في العاجل، لأن الأجل قريب، وما ارتكبته صعيب.

ثم إنك بعد ما استوفيت من غيبتك قلت بقصد النصيحة للمسلمين، ليتمسكوا بعقيدتك الممقوتة في الذاكرين [ فتنبهوا وتيقظوا، ولا تكونوا مثل المغرورين المخدوعين، الذين انغمسوا في خابيتهم، فليس كلامنا معهم، إلا من وفقه الله منهم بفضله وكرمه، وإنما كلامنا مع من لم ينغمس في خابيتهم، المتنجسة الخبيثـــة]

فأقول: حسبك من هاته الجملة ما أنت متلبس به من الطعن في أعراض الذاكرين المنتسبين إلى الله عز وجل، وكل ذلك من ضعف الإيمان، وإلا لمنعتك نسبتهم من الطعن في أعراضهم، ولاكتفيت منهم بالذكر على كل حال، لأنه يشهد لصاحبه بالإيمان، كما يشهد الإعتراض على الذاكرين لصاحبه بالنفاق، وكان من حقي أن لا نطيل الكلام، مع من هذا وصفه، ولأنه في مثلك قيل لبعض الحكماء (لم لا تعظ فلانا؟ فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه) ولكن رجاءي في الله أن لا يعدم الإنتفاع مما كتبناه، سواء عاد عليكم، أو على غيركم، فمن تقع رسالتنا

بيده، فلا يمتنع أن يقابل بين القولين، ثم يضع أحد الكتابين احتراما للآخر. وما أبرئ نفسي، إنما أبرئ المذهب مما نسبته إليه من الجهالة والضلالة والبطالة؛ حتى لا يغتر خالي الذهن بما اشتملت عليه رسالتكم من الزور، وما ارتكبتموه فيها من الفجور، تغريرا لعباد الله، وحطا لما رفعه الله، ولكن القوافل لا يعوقها نبح الكلاب **والله متم نوره ولو كره الكافرون**.

ومن تقريرك أنك قلت فيما دلّست به: [ إن من أراد السلامة في دينه ودنياه، فعليه بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، فهو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى الله تعالى، وأن يترك كل ما أحدثه المحدثون.] وهذه كلمة حق، وجملة صدق، لكنك اردت بها باطلا، أي تريد بقولك [ويترك ما أحدثه المحدثون] تعني بهم المتصوفة، وما ألزموه على من أراد الإنخراط في سلكهم من أخذ العهد، وصحبة المرشد، وغير ذلك. ثم إنك تشير لنفسك أنك المتمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ المتخلق بأخلاق السلف قولا وفعلا، وشتان ما بين الفريقين، كما بين الشك واليقين. وها أنا أجلو لك السحاب، لتستنصف من نفسك، إن كنت من أولي الألباب.

فأقول: بالله عليك ما هي معرفتك في كتاب الله؟ والحالة أنه قال فيه عليه الصلاة والسلام: **إن للقرآن ظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا**. وفي رواية أخرى **إن لكل آية ظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا، إلى سبعة أبطن وإلى سبعين**. فهل حصلت على شيء من هاته الأبطن؟ كلا. فإنك لم تستوعب ظاهره، وأين أنت من



باطنه وحده ومطلعه، وأين فهمك من فهم الصحابة من كتاب الله؟ فقد قال ابن العباس رضي الله عنهما (لو قلت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى: **يتنزل الأمر بينهن** لرجمتموني، أو لقلتم إني كافر) نقله (الشعراني) في (اليواقيت والجواهر) وإني أقول: إن ما فاتك من بعض آيات القرآن أكثر مما حصلته من جميع القرآن، وإلى ذلك مرمى خواص المتصوفة الذين أنت من أعدائهم، وهذا بعض ما يتعلق بكتاب الله. وأما ما يتعلق بسنة رسول الله فأقول: إن السنة هي عبارة عما كان عليه الصلاة والسلام، من جهة أقواله وأفعاله وأحواله، ومن جملتها أنه كان نطقه حكمة، وصمته فكرة، ونظره عبرة، وفعله طاعة، وأما حاله فهو مع الله في كل حال، يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه، وأين أنت من هذه الأخلاق الحسان؟ وهل تظن أن السنة مجرد قلقلة باللسان، أم هي عبارة عن خشونة الثوب ورقته؟ كلا. إنما هي عبارة عن متابعته عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله؛ أما الأقوال والأفعال فقد يتسنى التلبس ببعضها، والتظاهر بشكلها، وأما الأحوال فلا تكتسب إلا بصحبة أهل الحال، المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام: **جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله**.

وبالجملة إن السنة عبارة عن أخلاق سنية وأحوال نبوية فهي مثل المغناطيس لمن وجدت فيه، تجذب إليها بالخاصية كما كانت أخلاق النبي ﷺ تجذب من حاذاه، فيتخلق ببعض أخلاقه كل من صحبه بلا شعور، فلو كان لك نصيب لهذبت الأتباع

بأخلاقك ودربتهم بإطراقك، ونورت بواطنهم بإشراقك، حتى تكون الحال منك في التدريس كافية، لأنها أفصح من لسان المقال عند أهل الحال، ولكن كل شيء يكتسب من أهله، فلو جالست أهل التصوف أقل وقت من الزمان بصفة العبودية الخاصة التي هي الإفتقار اللازم المستفاد من قوله تعالى: **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد.** لأثرت فيك موعظتهم، وسرت فيك إشارتهم، وانقلبت منك الصفات، **اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات،** وما اكتسبوا تلك الأحوال السنية، إلا بممارستهم السنة النبوية، ونهجهم نهج السلف الصالح، حتى كانوا في كل أمة سلفا صالحا لمن بعدهم. قال الشيخ (ابو مدين) رضي الله عنه في مدحهم:

**قوم كرام السجايا حيثما نزلوا ☆ يبق المكان على آثارهم عطرا**

ثم إني أستفسرك، هل تظن أن ما عليه باطنك، هو ما كانت عليه أصحاب رسول الله في المعارف الإلهية والأسرار الغيبية؟ وإذا لضاعت الخصوصية في الأمة المحمدية، إن كان المكنون من سر الوحي، هو ما تداولته أفكار العموم، وحينئذ لا فائدة في الإنقطاع إلى الله عز وجل، والتوجه نحوه، وهذا لا يقول به سني، إنما الكل يعلم ما انطوت عليه أسرار الخصوص في الإلهيات، هو غير المتداول للعموم، ولذا قال (زين العابدين):

**يا رب جوهر علم لو أبوح به ☆ لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا**
**ولا ستحل رجال مسلمون دمي ☆ يرون أقبح ما يأتونه حسنا**



ومثل هذا ما قاله سلطان العاشقين رضي الله عنه:

**وثم وراء النقل علم يدق عن ☆ مدارك غايات العقول السليمة**
**تلقيته مني وعني أخذته ☆ ونفسي كانت من عطائي ممدتي**

ولولا هذا ومثله، لما احتيج لمرشد في طريق الله الذي قلت أنت بنفيه، حسبما يستفاد من قولك حيث قلت: [ أما قولهم من ليس له شيخ فالشيطان شيخه، المراد بالشيخ، الشيخ العالم العارف الذي يعلم الناس أمور ديانتهم، حتى لا يأخذ العلم عن نفسه برأيه، وليس المراد بالشيخ، شيخ الطريقة الجاهل، الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: **يكون في آخر الزمان عباد جهال، وقراء فسقة.**

فأقول: هذا من الزور في أقصى غاية التعمق، إن قلت المراد بقولهم من ليس له شيخ فالشيطان شيخه، يعنون به الشيخ المدرس، لأن الكل يشهد على بطلان قولك، حتى المدرس نفسه يقول لك يعنون بالشيخ الشيخ المرشد لمعرفة الله الخاصة، الذي ينتفع المريد بصحبته، ويتهذب بأخلاقه، ويستنار باطنه بإشراقه، الذي يجمع المريد على الله بنظرته، الشيخ الذي يخرج المريد من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ومن نور الإيمان إلى سر الإيقان، ومن سر الإيقان إلى وقوع العيان، ومن وقوع العيان إلى فقد الأعيان، وهناك يكون الحق سمعه وبصره، ويده ورجله، كما في الصحيح. وهي غاية في القرب، يغيب فيها العبد عن القرب، في عظيم القرب، وقد يعبرون عن هاته الحالة بالطي وبالفنا، وبالتلاشي وبالإضمحلال، وغير هذا من اصطلاحاتهم وهي ثمرة

التصوف المجهولة عندك، وبها عرّف التصوف (الإمام الجنيد) رضي الله عنه لما سئل عنه فقال: التصوف هو أن يميتك الحق عنك، ويحييك به فقل لي بالله عليك هل لك نصيب مما ذكرنا؟ فأنت في تدريج لاتباعك فيما قدمناه من المقامات، فإن كنت كذلك فتكون أنت المقصود من قولهم، من ليس له شيخ فالشيطان شيخه ولكن في ظني بعدك من هذا يقابل قربك من ضده، وهو الجحود المحض، وهذا هو الذي أهمنا من أمرك، ولما لو كنت تنكر وجدان من هذا نعته لكان الأمر أسهل، فيقال لك جدّ صدقا تجد مرشدا، وإن أردنا نصحك بالخصوص، قلنا لك فاصحب برهة من الزمان، ثم اعترض. وإن قلت بعدم احتياج المتضلع في الظواهر لصحبة من يرشده فيما خفي عنه من المغيبات، قلنا قصة (موسى) مع (الخضر) عليهما السلام حجة عليك وعلى أمثالك وفيما جمعناه كفاية لمن اهتدى، وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا أفك قديم.

تم بحمد الله هذا الكتاب والذي يدل دلالة واضحة على ما للشيخ العلاوي قدس الله روحه من الباع الطويل في شتى الميادين العلمية شكلا ومضمونا ودقة تحليله للمواضيع وتقدها بكيفية لاتترك للعاقل البصير المنصف مجالا لردها.

وقد كان الفراغ من كتابته في 14 من جمادي I 1339 هـ الموافق لـ 24 يناير 1921 م.

نسأل الله ان يحفظنا من الاعتراض على اهل الله وان يرزقنا العمل بهديهم اولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده.